الأفعال الكلامية في الخطاب الحواري بين الإخوة في القرآن الكريم

إعداد
رأفت سيد حسين عليان
أ.د محمود سليمان ياقوت
أستاذ العلوم اللغوية _ كلية الآداب طنطا

المستخلص:

إن التداولية فرع جديد من فروع علم اللغة، وتعد نقطة التقاء مجالات العلوم ذات الصلة باللغة بوصفها وصلة بينها وبين لسانيات الثروة اللغوية، فأهم ما ركزت عليه هو الجانب التواصلي المبني على التبادل الكلامي قصد الفهم والتفاهم، لذا نجدها قد فتحت آفاقًا جديدة أمام الدرس اللغوي، وكان لهذا النضج والاتساع الذي شهده الدرس اللساني أثره الواضح في تغيير وجهة اللسانيين العرب وتوجيه أنظارهم إلى اعتناق التداولية؛ رغبةً منهم في الإفادة من مقولاتها وأدواتها التحليلية لفهم منظومة النصوص العربية.

لذا كانت هذه الدراسة محاولة لاستثمار آليات المنهج التداولي وتطبيقها على نص لخطاب قرآني، لفهم مقاصده، وهو الأفعال الكلامية في الخطاب الحواري بين الإخوة في القرآن الكريم، إذ هو نص تداولي من الدرجة الأولى بامتياز؛ وذلك مما يدعونا إلى تعميق النظر في جهود علماء التفسير واللغة والنحو والبلاغة، للكشف عن وجود نظريات لغوية ذات أبعاد ومبادئ تتفق والنظريات اللغوية الحديثة.

الكلمات الافتتاحية: الفعل الكلامي –الخطاب – الحوار .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي جعل صلاح الدنيا في العلم والمعرفة، وجعل مناط العلم ومنبعه في كتابه الكريم، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد (صلى الله عليه و سلم) وعلى آله وصحبه أجمعين .. **وبعد.**

فهذا بحث في الخطاب القرآني، يطمح إلى تقديم وصف تحليلي **للأفعال الكلامية في الخطاب الحواري بين الإخوة في القرآن الكريم،** معتمدا على آليات المنهج التداولي؛ فاللسانيات التداولية تعد اتجاهًا معاصرًا، لطريقة قديمة في التفكير باعتبار أن " اللسانيات أقرب حقل معرفي إلى التداولية (la pragmatique)[١] يجعلها تقوم على دراسة استعمال اللغة "[٢]

لذا فإني ألتمست **تعيين الأفعال الكلامية في الخطاب الحواري بين الإخوة في القرآن الكريم** ، منطلقًا من كتب التفسير وبخاصة تفسير ابن عاشور، وكتب علوم اللغة والنحو والبلاغة، ملتزمًا بالضوابط اللغوية، والمقامية، والشرعية.

دفعني لهذا الموضوع، كونه متصلا بالقرآن الكريم اتصالًا مباشرًا، وما في ذلك من شرف، إلى جانب الرغبة في التعرف على أهم الخصائص التداولية Pragmatics Properties للحوار الأسري في القرآن الكريم، ومن ثَمّ السعي إلى تجسيد مبادئه.

جاءت الدراسة موسومة بـ: **" الأفعال الكلامية في الخطاب الحواري بين الإخوة في القرآن الكريم"**؛ ليكون البحث مقتصرًا على المقولات الخطابية الحوارية للإخوة في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

من الدراسات ذات الصلة بالحوار في القرآن الكريم:

الخطاب القصصي القرآني دراسة أسلوبية تداولية قصة يوسف نموذجًا: نور الدين خيار (ماجستير ٢٠٠٤م) كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، والأفعال الكلامية في سورة الكهف دراسة تداولية: آمنة لعور(ماجستير ٢٠١١م) كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، والأفعال الكلامية في سورة البقرة دراسة تداولية: محمد مدور (دكتوراه ٢٠١٤م) كلية الآداب واللغات ،جامعة الحاج لخضر - باتنة ، الجزائر، والأبعاد التداولية في الخطاب القرآني سورة البقرة نموذجًا: عيسى تومي (ماجستير ٢٠١٠م) كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، الجزائر، والبناء اللغوي والإقناع في الخطاب الحوارى في القرآن الكريم مقاربة تداولية: أحمد صبري سعد الدين (دكتوراه ٢٠١٨م) كلية الآداب، جامعة بنها، مصر.

وهذه الدراسات قد تناولت الجوانب النظرية التداولية في الحوار القرآني من خلال تناول سورة من السور أو قصة من القصص أو نماذج حوارية Dialogism models مختارة لحوار

---

[١] د. مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، طبعة دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، يوليو ٢٠٠٥، ص١٠.

[٢] المرجع السابق، ص٢٦، وباتريكشارودو- دومينيكمنغنو: معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري، وحماديصمود، طبعة المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠٠٨، ص٤٤٢.

أحد أفراد الأسرة مع الآخر، دون تعرض دراسة من هذه الدراسات لخطاب حوار الإخوة دراسةً تداولية شاملة لجميع الإخوة في القرآن الكريم.

مما سبق يتضح أنه ثمة فرصة، لتناول **الخطاب الأسري** الأخوي تناولا تداوليًّا، وذلك من خلال دراسة **الأفعال الكلامية في الخطاب الحواري بين الإخوة في القرآن الكريم؛** للوقوف على بعض مزايا الخطاب القرآني في القدرة على التأثير في الآخرين، وهذه هي غاية التداولية.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مبحثين، يعقبها خاتمة بأهم نتائج البحث.

المبحث الأول: الأفعال الكلامية في ضوء علم اللغة الحديث.

المبحث الثاني: الأفعال الكلامية في الخطاب الحواري بين الإخوة في القرآن الكريم.

واندرجت تحته المطالب التالية:

المطلب الأول: الخطاب الحواري بين قابيل وهابيل.

المطلب الثاني : الخطاب الحواري بين أبناء نبي الله يعقوب(يوسف وبنيامين وأخوته).

المطلب الثالث: الخطاب الحواري بين نبي الله موسى وأخيه هارون.

المبحث الأول

الأفعال الكلامية في ضوء علم اللغة الحديث.

إن نظرية الأفعال الكلامية تعتبر هي النواة المركزية التي شكلت باقي النظريات التداولية الفرعية، بل إن التداولية في نشأتها الأولى كانت مرادفة للأفعال الكلامية، فهذه النظرية "جعلت من طبيعة الحدث اللغوي حدثا مؤثرا له علاقة بمقاصد الكلام ، وقد انطلقت المعطيات النظرية لهذه الأفعال الكلامية مع جون أوستن في كتابه (نظرية أفعال الكلام العامة)"[٣][٤].

وما قدمه أوستن لنظرية الأفعال الكلامية يمكن إيجاز فيما يلي:

أولا: ميز أوستن بين نوعين من الأفعال:

أ- أفعال إخبارية: وهي أفعال تخبر عن واقع العالم الخارجي، وتكون إما صادقة وإما كاذبة.

ب- أفعال أدائية: وهي أفعال تنجز أو تؤدى في ظروف ملائمة ولا توصف بصدق ولا كذب، كالاعتذار والوصية والرهان.

لكنه لاحظ أن كثيرًا من الأفعال الأدائية ليس منها، وأن كثيرًا من الأفعال الإخبارية تقوم بوظيفة أدائية؛ لذا رأى أن الفعل الكلامي مشتق من ثلاثة أفعال تعد جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، تؤدَّى في وقت التلفظ بالفعل وهي:

١- الفعل اللفظي فعل القول: وهو يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح، ينتج عنه معنى محدد وهو المعنى الأصلي، فهو يتضمن بدوره ثلاثة أفعال لغوية فرعية؛ فعلا صوتيًّا، وفعلا تركيبيًّا، وفعلا دلاليًّا[٥].

---

(٣) ترجم الكتاب إلى العربية ، عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق، ١٩٩١م.

(٤) أحمد كروم، مقاصد اللغة وأثرها في الخطاب الشرعي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٥م-١٤٣٦هـ، ص١٣٥

(٥) د. أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، طبعة دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م، ص٢٤.

وهذا الفعل يقع دائمًا مع كل قول، ولا ينعقد الكلام إلا به، لكننا عندما نُقْدِمُ عليه فإننا نقوم معه بفعل آخر هو الفعل الإنجازي.

٢- **الفعل الإنجازي المتضمن في القول**: وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي. فالفرق بين الفعل الأول والفعل الثاني هو أن الثاني قيام بفعل ضمن قول شيء في مقابل القيام بفعل هو قول شيء[٦]، أي: هو ما يؤديه الفعل اللفظي من وظيفة في الاستعمال كالتنبيه، والنصح، والتحذير....إلخ.

٣- **الفعل التأثيري أو الفعل الناتج عن القول**: وله علاقة بالمتلقي، ويقصد به التأثير العملي للقول الذي يقوم به المتلقي، أو ما يحدثه الفعل الإنجازي في السامع.

ثانيا: عندما اكتشف أوستن أن الفعل التأثيري قد لا يلازم جميع الأفعال، بل قد لا يكون ذا أثر على السامع، وأن الفعل اللفظي لا يتم الكلام إلا به، وجه تركيزه واهتمامه على الفعل الإنجازي، لذا قدم تصنيفًا للأفعال الكلامية على أساس من قوتها الإنجازية يشتمل على خمسة أصناف، على اعتبار أنه تصنيفا مبدئيا وهي:

١- **أفعال الأحكام**: وهي التي تتمثل في حكم يصدره قاض أو حكم.

٢- **أفعال القرارات**: وتتمثل في اتخاذ قرار بعينه كالإذن والطرد والحرمان والتعيين.

٣- **أفعال التعهد**: وتتمثل في تعهد المتكلم بفعل شيء مثل الوعد والضمان والتعاقد والقسم.

٤- **أفعال السلوك**: وهي التي تكون ردَّ فعل لحدث ما كالاعتذار والشكر والمواساة والتحدي.

٥- **أفعال الإيضاح**: وتستخدم لإيضاح وجهة النظر أو بيان الرأي مثل الاعتراض والتشكيك والإنكار والموافقة والتصويب والتخطئة[٧].

وبرغم ما قدمه أوستن من جهود دؤوبة لنظرية أفعال الكلام وتصنيفها إلا أن تصنيفه للأفعال الكلامية لم يكن كافيًا لوضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية .

فجاء جون سيرل تلميذ أوستن وعمل على تطوير النظرية مستفيدا من جهود أستاذه وتحليلاته، فقام بتعديل التقسيم وجعله على أربعة أقسام هي جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، أبقى منها على القسمين الإنجازي والتأثيري، وجعل القسم الأول وهو الفعل اللفظي قسمين:

الأول: الفعل النطقي، وهو يشمل الجوانب الصوتية والنحوية والمعجمية.

والثاني: الفعل القضوي، وهو يشمل المتحدث عنه أو المرجع والمتحدث به أو الخبر، ونص على أن الفعل القضوي لا يقع وحده، بل يستخدم دائمًا مع فعل إنجازي في إطار كلامي مركب؛ لأنك لا تستطيع أن تنطق بفعل قضوي دون أن يكون لك مقصد من نطقه[٨].

ثم قام بتصنيف الأفعال الكلامية بناء على ثلاثة أسس منهجية وهي: الغرض الإنجازي، اتجاه المطابقة، وشرط الإخلاص، إلى خمسة أصناف هي:

---

(٦) طالب سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، د. ط، ١٩٩٤م، ص٨.

(٧) محمود عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية التداولية دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، طبعة مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣، ص١٠١.

(٨) آفاق جديدة في البحث اللغوي ص٧٤.

١- **الإخباريات**: تقوم على وصف المتكلم لواقعة معينة من خلال قضية، وهذه الأفعال تحتمل الصدق والكذب، وباتجاه المطابقة فيها من القول إلى العالم بحيث يكون القول مطابقًا للوقائع الموجودة في العالم الخارجي.

٢- **التوجيهيات**: والغرض منها توجيه المتكلم للمخاطب من أجل فعل شيء معين، ويكون اتجاه المطابقة فيها من العالم إلى القول، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الإرادة والرغبة الصادقة، والمحتوى القضوي فيها هو دائمًا فعلُ السامعِ شيئًا في المستقبل، ويدخل في هذا الصنف الأمر والنصح والاستعطاف والتشجيع.

٣- **الالتزاميات**: وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل، ويكون اتجاه المطابقة فيها من العالم إلى القول، وشرط الإخلاص فيها هو القصد، والمحتوى القضوي فيها دائمًا فعل المتكلم شيئا في المستقبل، ويدخل فيها الوعد والوصية.

٤- **التعبيريات**: تعبر عن موقف نفسي تعبيرًا يتوافر فيه شرط الإخلاص، وليس في هذا الصنف اتجاه مطابقة، فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات مطابقة للعالم الخارجي، ولا العالم مطابقًا للكلمات، ويندرج تحتها الشكر والتهنئة والاعتذار والمواساة.

٥- **الإعلانيات**: والغرض منها إحداث تغيير في العالم الخارجي، وهي تتميز عن الأصناف الأخرى بأن أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، فإذا أديت إعلان الحرب أداء ناجحًا فالحرب معلنة، كما أنها تحدث تغييرًا في الوضع القائم فضلا عن أنها تقتضي عرفًا غير لغوي، واتجاه المطابقة فيها تبادلي، يكون من الكلمات إلى العالم، أو من العالم إلى الكلمات، ولا يحتاج إلى شرط الإخلاص في كل إعلان(٩).

كما قسم معاني القول إلى نوعين؛ أولهما: الأفعال الإنجازية المباشرة أو المعنى الحرفي، وهي التي تطابق قوتها الإنجازية مرادَ المتكلم، أي أن ما يقوله يكون مطابقًا لما يعنيه، والثاني: غير المباشرة أو غير الحرفية، وهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم. وهو مستوى أعمق من سابقه لإعمال العقل فيه والتخييل، إذ يتعلق بالمعنى المفهوم غير المباشر من وراء اللفظ.

فإذا قال طالب جامعي لرفيق له وهو في المحاضرة : هل تناولني القلم؟

فهذا فعل إنجازي غير مباشر، إذ قوته الإنجازية الأصلية تدل على الاستفهام الذي يحتاج إلى جواب، حيث إنه مسبوق ومصدر باستفهام وهو "هل".

لكن الاستفهام غير مراد للمتكلم، بل هو طلب مهذب يؤدي معنى فعل إنجازي مباشر هو: ناولني الملح من فضلك.

تعقيب: بناء على ما سبق فإن أوستن كان مؤسسًا لهذه النظرية، لكن التطوير الأساسي للنظرية تحقق على يد سيرل، حيث ظهرت على يده نظرية منتظمة لاستعمالات اللغة بمصطلحات الأفعال الكلامية؛ ومن ثمَّ فقد كان سيرل مطورًا للقواعد التي أرساها أستاذه أوستن، فلم يبدأ التلميذ من فراغ ولم ينشئ من العدم.

(٩) النظرية البراجماتية اللسانية، ص١٠٦- ١٠٧.

المبحث الثاني

المطلب الأول: الخطاب الحواري بين (ابني آدم) قابيل وهابيل.

يقول تعالى :(..وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّۘ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۖ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١..)[المائدة:٢٧-٢٩].

خطاب حواري قصير دار بين أخوين حول قربان قدماه، ليبين نزعتين متضادتين ، نزعة تفيض بالصفاء الروحي لدى هابيل، ونزعة أخرى تفيض بالحقد والحسد لدى قابيل.

فهابيل يقدم قربانه لله ، وقابيل يقدم قربانًا آخر، فتقبل من أحدهما وهو هابيل، ولم يتقبل من الآخر وهو قابيل، وهو ما غاظه فقال لأخيه حسدًا له:(..لَأَقۡتُلَنَّكَۖ..) وهي الكلمة الوحيدة التي تلفظ بها في بداية هذا الخطاب الحواري، ويا لها من كلمة، وظل على هذا الحقد والكمد حتى قتل أخيه، ولم يقل في نهاية الحوارConversation إلا كلمات دالة على الندم والتحسر(..يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ..)[المائدة:٣١]..

فقوله:(..لَأَقۡتُلَنَّكَۖ..)فعل **كلامي مباشر** تمثلت **قوته الإنجازية** في فعل القسم التصريحي(..لَأَقۡتُلَنَّكَۖ..) متصل به اللام الموطئة للقسم، ونون التوكيد الثقيلة، وهو توكيد يدل على أن الحسد بلغ بقابيل مداه لدرجة أن يقتل معها أخاه، لذا بدى هذا الفعل القولي مثيرًا للاستنكار، إذ هو بهذا التأكيد المنبئ عن الإصرار، أبعد ما يكون عن النفس السوية.

فيرد أخوه عليه بوداعة وحكمة منبهًا أولًا على ما يصل به إلى رتبته ليزول حسده، مستعملًا خطابًا مصدرًا بـ (..إِنَّمَا..) فقال له:(..إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ..٢٧) [المائدة:٢٧] وهو **فعل كلامي** خبر تمثلت **قوة فعله الإنجازي** في إِنَّمَا الكافة والمكفوفة؛ الدالة على أسلوب الحصر؛ وذلك لاقتصار القبول على الموصوفين بالتقوى، إذ لا معصية لهم يصرون عليها[١٠]، إشارة إلى أن عدم قبول قربان المخاطب من نفسه هو ، ولا ذنب للمتكلم في عدم قبول قربانه، كما استمد هذا الفعل قوته من اختيار(..يَتَقَبَّلُ و ٱلۡمُتَّقِينَ..)؛ زيادةً في التوضيح على أن دافع القبول عند الله هو التقوى،فهو سبحانه ليس محتاجًا إلى شيء، وكل شيء إليه يحتاج[١١] فـ(..لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ..)[الحج:٣٧].

ثم يمضي هابيل في خطابه في وداعة وطيبة ،محاولًا ثني أخاه عما امتلأت به نفسه من شعور بالحقد والغيرة والحسد ، دفعه لأن يعزمعلى قتله فقال:(..لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ..) فعل كلامي شرطي صريح استمد قوته الإنجازية من فعل الشرط لَئِنۢ بَسَطتَ الموطأ بلام القسم، ومن النفي الواقع في جواب الشرط (..مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ..)لإشعار المخاطب بأنه لن يرد الإساءة بمثلها، ولذلك ذكر المتكلم ما يدل على التطاول والاعتداء وهوبسط اليد أي مدها فقال(..لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ..)/ مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ..)، والكاف

---

[١٠] نظم الدرر ١١٩/٦

[١١] المرجع نفسه.

هنا إيعازًا أن ابتداء الاعتداء لن يكون منه، وإن اعْتدي عليه، فلن يرد هذا الاعتداء بمثله، إذ إنه لا يريد المشاركة فيه.

بالإضافة إلى أن التقديم والتأخير في (..لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ..)/ (..مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ..)ونفي الفعل المماثل(..بَسَطتَ..)/ (..مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ..)،**فيه إشارة إلى أن الفعل الإنجازي لهذا الفعل الكلامي مضمر إذ المحتوى القضوي له هو الإصرارعلى القتل مهما حاول المتكلم ثني أخاه أو ردعه عن ذلك، والمقصد هو إيصال رسالته لأخيه بأن بسط يده قد تكون في أشياء أخرى كالدفاع عن الضعيف أو النفس من الأخطار أو المسامحة، لكنها لم ولن تبسط للاعتداء على أخيه.**

ثم يأتي المتكلم **بفعل كلامي** آخر هو(..إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨..)وقد تمثلت قوة فعله الإنجازي في صيغة الجملة الاسمية، الدالة على ثباته على الخوف من الله، والدوام على طاعته، بالإضافة إلى نون التوكيد الثقيلة(..إِنِّيٓ..)بغرض التذكير بمخافة الله عل المخاطب يرعوي.

ثم مضى في خطابه قائلًا:(..إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ..)[المائدة:٢٩]هنا يبدو أن المتكلم وجد أن رد فعل أخيه على ما ذكره له لم يحرك عاطفة الأخوة في نفسه ، فأتى صيغ جمل فعلية دالة على الأحداثالتي قد تؤول، حال لم ينثن أخوه عما عزم عليه من قرار فقال:(..إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ..) وهو **فعل كلامي** تمثلت **قوة فعله الإنجازي** في نون التوكيد الثقيلة(..إِنِّيٓ..)وصيغة الأفعال المضارعة(..تَبُوٓأَ..) / (..فَتَكُونَ..)وذلك لغرض التحذير من الجزاء الذي ينتظره إذا هو أقدم على قتله.

لكن برغم المقولات الخطابية لهابيل، إلا ان النفس الأمارة بالسوء لم تدخر وسعًا لتنفيذ ما عزمت عليه (..فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ .. ٣١)[المائدة:٢٧-٢٩].

تعقيب: بدا واضحًا في هذا الخطاب الحواري:

أولًا : ضبط نفس وحكمة هابيل في خطابه لأخيه، وشفقته وخوفه على أخيه من مصيره المشؤوم إن هو ارتكب جريمة قتله ثانيًا، من خلال استعماله لبعض العبارات والألفاظ المعجمية (..مثل تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ..)/ (..أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ..)/(..جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ..)، لذا نجد من الواضح أن خطاب هابيل قد جاء توجيهي إرشادي، لما تتسم به نفسه من التقى والوداعة والحكمة والطمأنينية تناسبًا مع ما تستدعيه آصرة النسب من حقوق وواجبات بينه وبين أخيه.

ثانيا: أصحاب النفوس المريضة المملؤة غيرة وحقدًا على الآخرين، تتحرك أخطارها نحو الأخرين إذا ما سنحت الفرصة لذلك، وضح ذلك من خلال اختلاف بنية خطاب كلا الأخوين؛ لذا جاء خطاب قابيل خطاب تصريحي بنية القتل.

المطلب الثاني: الخطاب الحواري لإخوة يوسف:

أولًا: الخطاب الحواري لتدبير المؤامرة بقتل يوسف أو إبعاده:

يقول تعالى:(..لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٨ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ١٠..)[يوسف : ٧-١٠].

قولهم:(.. ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ..)[يوسف:٩]تضمن هذا القول الأمر(..ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ..)و(.. ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا..)فعلان كلاميان يشكل كل منهما قوة إنجازية حرفية تتجلى من البنية السطحية لفعلهما اللفظي أي صيغة فعل الأمر، فالملفوظ (..ٱقْتُلُواْ..)و(..ٱطْرَحُوهُ..)جاء كاشفًا لحالة إخوة يوسف النفسية تجاه تجاهه ، وتجسيدًا فاضحًا لأفعالهم - الحقد والمكر او الكره الشديد - لا لذنب اقترفه ، وإنما لاختصاص أبيه إياه بمزيد من الحنان القلبي، مما أوصلهم إلي محاولة قتله أو طرحه، والأمر سيان بالنظر إلى النتيجة المنتظرة، لذا جاء العطف بـ أَوِ لإفادة التخيير بين قتل يوسف أو إبعاده أو نفيه، فالإصرار واضح من إسناد القتل أو الطرح إلى عصبتهم علي طفل صغير لم يقترف ذنبًا، يدل على سفاهة وسخف ما تشاوروا فيما بينهم فيه.

كما أن **تنكير لفظة**(..أَرْضًا..)يمثل عنصرًا من عناصر الإثارة في الكلام ، لما له من أثر بالغ في النفس، فهي: أرض منكورة مجهولة ، بعيدة عن العمران[١٢]، بالإضافة إلى أن إطلاق الوجه في(..يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ..)لكونه عنوان المحبة والإقبال ، فهو مجاز مرسل، علاقته الجزئية ، وإيثار ذكره الوجه ؛ لتصوير معني إقباله عليهم.

وبينما مجلس المؤامرة منعقد، وتم فيه طرح قتل يوسف ، والذي كشف عن حالة الثوران النفسي الممتلئ بالغيرة والحقد تجاه أخيهم يوسف، فإذا بالعناية الإلهية تسخر منهم واحدًا يقظ الضمير، إذ يرتعش لهول ما هم مقدمون عليه ؛ فيقترح حلًا محاولًا من خلاله التخفيف من تلك الجريمة النكراء المقترح تنفيذها، بالإضافة إلى أنه يريحهم من يوسف[١٣](..قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ..)[يوسف:١٠] في هذه اللحظة هدأت تلك الأنفس الحاقدة قليلًا، فعلى الرغم من **<u>توفر شروط إنجاز شروط فعل الأمر</u>**(.. ٱقْتُلُواْ..)،إلا أن إنجازه لم يتحقق؛ لعدم توفر ظروفه، وبسبب التغير في الموقف، بعدما اقترح أحدهم أن يلقوه في الجب.

فقوله تعالى :(..قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ..)[يوسف:١٠]فعل كلامي استمد قوته من تنكير كلمة(..قَآئِلٌ..)الدالة على الواحد من أفراد جنس الأخوة، فقد جاءت سترًا على المسيء من الإخوة، وكلهم مسيء ، وإن كان هذا (القائل) من أقلهم إساءة ليوسف ،ومن ثم فلا جدوى من ذكر اسم القائل، فظاهرة التنكير بوصفها ملمحًا تعبيريًا بارزًا هنا، قد أدت وظيفة دلالية ، تفوق مجرد الوظيفة اللغوية، كما استمد

---

[١٢] الكشاف ، ٣٠٥/٢

[١٣] إن تدخل هذا الأخ في هذه اللحظة الحرجة، وتمكنه من تعديل سلوك أخوته لفكرة القتل، يفيد بأنه تغيير المنكر على الإنسان ألا ييأس إن أراد تغييرا لمنكر لفقده أسباب ذلك، وبخاصة إذا كان الأمر يتعلق بحياة إنسان. إذ ربما بطرح فكرة ولو بسيطة يكون شأن كبير في تغييره، مثلما فعل هذا الأخ،

هذا الفعل قوته الإنجازية من هذا التناسب الذي بين المسند والمسند إليه في(..قَالَ قَآئِلٌ..)، كما استمدها من التعريف بـ (ال) في لفظتي (الجب) و(السيارة) وهذا التعريف للعهد الذهني؛ فالجب والسيارة معهودين للمتكلم والمخاطبين؛ لأن الأخوة علموا أن الطريق لا تخلو من قوافل بين الشام ومصر للتجارة والميرة، ولهذا التعريف دلالته النفسية، إذ ينم عن صحوة ضمير الأخ القائل بإلقاء يوسف في الجب المعروف المعهود ، فهو يرتجف لهول ما الأخوة مقدمون عليه ، فيقترح حلًا يريحهم من يوسف ، ويحقق لهم يتمنون(.. يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ..) ، لكنه اقتراح لا يقتل يوسف، وهو إلقائه في الجب، وهو ما يرجح أن تعثر عليه إحدى القوافل، فتنقذه وتذهب به بعيدًا، لذا قال (..لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ..) ولم يقل : (لا تقتلوه) لدلالة ما قبله ، لأن ذكر يوسف ، أبلغ ، استجلابًا لشفقتهم عليه ، واستعظامًا لقتله[١٤]، ومن الممكن أن يكون هذا النهي لدلالة المشورة بدليل قوله (..وَأَلْقُوهُ..)فـ" إلقاء يوسف عليه السّلام في غيابة جبّ هو أمثل ممّا أشار به الآخرون من قتله أو تركه بفيفاء مهلكة لأنّه يحصل به إبعاد يوسف عليه السّلام عن أبيه إبعادًا لا يرجى بعدَه تلاقيهما دون إلحاق ضرّ الإعدام بيوسف عليه السّلام ؛ فإنّ التقاط السيّارة إياه أبقى له وأدخل في الغرض من المقصود لهم وهو إبعاده ، لأنّه إذا التقطه السيّارة أخذوه عندهم أو باعوه فزاد بعدًا على بعد"[١٥].

وقد تجلت **القوة التأثيرية** لهذا الفعل، من خلال تأليفه لقلوبهم حول ما طرحه، وتوجيهه لهم إلى رأيه وإبعادهم عن سوء الظن به أنه قد يوشي بهم.

ثم يستكمل أخوهم اقتراحه بقوله:(..وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ..)[يوسف:١٠] وهو **فعل لفظي طلبي** الذي يخلو من التكليف والإلزام ، فهو أمر مستعمل في النصح الإرشاد[١٦]، جاء بطريقة إبداء الرأي والمشورة، أي: إن كنتم فاعلين بيوسف شيئًا ، فالرأي عندي ، إلقاؤه في غياب الجب

والشرط في (..إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ..)فيه دلالة التثبيط لهممهم عن ما هم عازمون عليه ، فالمتكلم يعمل على تخذيل إخوته عما اقترحوه من القتل والتغريب بأسلوب حكمي ، إذ فوض الأمر إليهم تعظيمًا لهم.[١٧]

وقد حذف مفعول(.. فَٰعِلِينَ ..)للتركيز على الحدث ، لقصد تحقيره ، وأنه لا يستحق الذكر، كما حذف جواب الشرط لدلالة(..وَأَلْقُوهُ ..) أي(..إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ..)" إبعاده عن أبيكم، فألقوه في غيابة الجب ولا تقتلوه، وفي ذلك تعريض بزيادة التريث فيما أضمروه لعلهم يرون الرجوع عنه أولى من تنفيذه"[١٨].

ثانيًا: الخطاب الحواري بين يوسف وهو عزيز مصر وأخوته من أجل الأتيان ببنيامين.

قال تعالى:(..وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٨ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ٥٩ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ٦٠ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ٦١ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ

---

[١٤]ـ أحمد إسماعيل نوفل،: سورة يوسف دراسة تحليلية ، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ص ٣٠٥

[١٥] التحرير والتنوير ٢٢٦/١٢ . تفسير أبي السعود ٢٥٦/٤ .

[١٦]ـ روح المعاني ١٩٢/١٢ التحرير والتنوير ، ٢٢٦/١٢ .

[١٧] طنطاوي : محمد ، نظرات في سورة يوسف ، جريدة القدس . (عدد ١٠٦٤٣) .ت ١٩٩٩/٤/١٣م .

[١٨]سورة يوسف دراسة تحليلية ، أحمد إسماعيل نوفل ، ص٣٠٥

ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ٦٢..)[يوسف:٥٨-٦٢].

تصدر هذا المقطع من الخطاب الحواري ليوسف مع أخوته بالفعل(..وَجَآءَ..)الذي يطوي زمانًا طويلًا ، حيث اختُصر به أحداث ومشاهد في رحلة الإخوة الطويلة من أرض كنعان إلي مصر، بعد أن حل ببلادهم القحط وجفت أراضيهم ليتزودوا بالطعام(..فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ٥٨..)[يوسف:٥٨]فعل قول لفظي يكشف عن نفسية إخوة يوسف، إذ لم يعرفوه، وما ذاك إلا لفقدهم الأمل في بقائه على قيد الحياة، لدرجة أنهم لم يعودوا يفكرون به، حتى جهلوه تماما(..وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ..).

ولما (..جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ ..) وجه إليهم خطابه بصفته عزيز مصر**قائلًا:**(..ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٥٩ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ٦٠..)[يوسف : ٥٩ - ٦٠].

<u>فهذه المقولة الخطابية عبارة عن متوالية من الأفعال الكلامية الإنجازية، تتضمن قوى إنجازية حرفية مستقاة من القرائن والمعينات البنيوية التي تساهم في تماسك واتساق النص، بالإضافة إلى إنجاح العملية التواصلية بين المتكلم والمخاطب، وهي أفعال إنجازية وجب على المخاطب تنفيذها لأن الخطاب موجه من السلطة العليا فالمتكلم وإن كان أخوهم إلا أنه يخاطبهم بصفته الرسمية أنه عزيز مصر، وهذا ما تجسد في صيغة فعل الأمر (..ٱئۡتُونِي..).</u>

فقوله:(..ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ..)فعل **إنجازي طلبي** وجب على المخاطب تنفيذه لأن الخطاب موجه من السلطة العليا، فالمتكلم وإن كان أخوهم إلا أنه يخاطبهم بصفته الرسمية أنه عزيز مصر، وهو ما ما تجسد في صيغة القوة الإنجازية لهذا الفعل فعل الأمر(.. ٱئۡتُونِي..)، فالمتكلم يأمر إخوته المنكرين له بإحضار أخيهم (بنيامين) معهم ، وإلا حرمهم من كيل القوت كنوع من الضغط أو التهديد، وما ذاك إلا شوقًا لرؤية أخيه الشقيق، وقد استعمل لفظة(..بِأَخٖ..)نكرة دفعًا للشبهة؛ إذ التنكير يدل علي معني الإبهام ، لعدم الكشف عن شخصيته لهم، بعكس التعريف الذي قد يوحي بشيء من العهد بين المتكلم ، والمخاطب[١٩].

ورغم أن المتكلم بدأ بطلب الأمر الذي يقتضي إنجازه على وجه السرعة، إلا أنه راعي الحالة النفسية لمخاطبيه ،فخفف من صيغة الكلام، ولم يحاول أن يثير " الضغائن والأحقاد التاريخية الماضية، ولم يظهر أي انتقام ، رغم قدرته عليه ، لما هو عليه من الملك والسلطان، لكنه كان حليمًا متسامحًا"[٢٠]، بل خاطبهم بأسلوب الإغراء والترغيب بعد أن جهزهم بما يريدون من طعام وميرة،ليكون ذلك أدعى لتطمينهم، وتحبيبهم لخطابه، حتى تصلهم رسالته ؛ فكان قوله **:**(..أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ٥٩..)[يوسف:٥٩]، إذ لابد أن يكون الفعل الإنجازي مفهومًا لدى المخاطب لأجل تحقيقه.

فقوله: (..أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ..)[يوسف:٥٩]**فعل قول لفظي** يتضمن :

---

[١٩] يقول صاحب البحر المحيط :ألا تري فرقا بين ، مررت بغلامك ، ومررت بغلام لك ، إنك في التعريف تكون عارفا بالغلام ، وفي التنكير أنت جاهل به ، فالتعريف يفيد نوع عهد في الغلام بينك وبين المخاطب ، والتنكير لا عهد فيه البتة.البحر المحيط ، ٣١٩/٥.

[٢٠] الحوارات الأسرية في القرآن الكريم ، المشعل السيد محي الدين ، ص ٥٣-٥٤ .

أولًا: الجملة الاستفهامية(..أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ..)**فعل كلامي توجيهي مباشر** تمثلت **قوته** الإنجازية في صيغة الاستفهام التقريري(..أَلَا تَرَوْنَ..)، الذي جاء بعد الطلب(..ٱئْتُونِي..)لضمان الإتيان بأخيهم، وقد أتت البنية السطحية لهذه الجملة الاستفهامية علي نمط تركيبة لغوية خاصة وهي [همزة الاستفهام الداخلة علي حرف النهي(..**أَلَا**..) + **صيغة المضارع**(..تَرَوْنَ..)+ المصدر المؤول من(..أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ..)+ الجملة الحالية(..وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ..)ودخول همزة الاستفهام علي الكلام المنفي هنا أدي إلي إثباته، للتنبيه علي أن ذلك عادة مستمرة عند المتكلم، ولعلم الأخوة بالتحهيز، سيؤدى إلى أن يكون جوابهم على هذا السؤال بـ(بلي)، بالإضافة إلى أن هذا الاستفهام يومئ بالمباشرة ، وعمق التأثير، إذ إنه جاء في حوار بين متكلم على معرفة بل تمام المعرفة بالمخاطب، في حين أن المخاطب يجهله كل الجهل.

ثانيًا: الجملة الاسمية الخبرية(..وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ٥٩..)[يوسف:٥٩] **فعل إنجازي خبري**، استمد **قوته** الإنجازية من بالتعبير بصيغة الجملة الإسمية؛ للدلالة علي أن إكرام وإحسان المتكلم للمخاطبين دائمًا، كما استمدها من تقديم المسند إليه(..أَنَا ..)للتأكيد على جدية مطلبه ، وقدرته في تنفيذ تهديده، بالإضافة إلى تضمين**Inclusion** معني الامتنان والترغيب علي تحقيق ما أمرهم به.

ثم يُضَمِن المتكلم خطابه صيغه أخرى كخاتمة لما بدأ به، لشحن مخاطبية بطاقة تحفيزيةلإحضار بنيامين، إذ لابد أن يكون **الفعل الإنجازي** مفهومًا لدى المخاطب لأجل تحقيقه فيقول:(..فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ٦٠..)[يوسف:٦٠] **فعل كلامي شرطي** جملته الشرطية(..فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ..)وجملته الجوابية(..فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ..)**فالفعل الكلامي الطلبي المباشر**(..وَلَا تَقْرَبُونِ..)جاء ليدل على توعد بحرمانهم من الميرة والطعام في المستقبل وقد احتمل النهي أن يكون نفيًا معناه النهي، فالمعني الظاهر، للنهي هو التخويف والتهديد، ومجيء النهي(..وَلَا تَقْرَبُونِ..)بعد(..فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي..)لمزيد من هذا التخويف والتهديد، فعدم القرب يعني عدم الحصول علي الميرة ، " لأن النهي يقع جزاء وفيه دليل على أنهم كانوا على نية الامتياز مرة بعد أخرى وأن ذلك كان معلومًا ماله عليه السلام والظاهر أن ما فعله معهم كان بوحي والا فالبر يقتضي أن يبادر إلى أبيه ويستدعيه لكن الله سبحانه أراد تكميل أجر يعقوب في محنته[٢١]،وهو المعني العميق الأخر لهذا النهي.

نجح المتكلم من خلال ذلك في إيصال رسالته لمخاطبيه، إذ إنهم أذعنوا لأمره، ومضوا في إنجازه.(.. قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ٦١..)[يوسف:٦١] وهو **فعل إنجازي** من الوعديات**Commissives** ، أي إنا لفاعلون ذلك لا محالة ولا نفرط فيه ولا نتوانى، واستعمال المتكلمين لحرف التوكيد (السين)، لإشعار المخاطب بأهمية وتحقيق ما وعدوا به، بالإضافة إلى تقديم المتعلق (..عنه..) الدال علي الاختصاص عن نفسية الأب الحاني علي ابنه،مما جعل اللفظ في موضعه يتسق مع أحوال النفس، ومطابقة الكلام لمقتضي الحال.

ولأجل أن يطمئن المتكلمون مخاطبهم نجدهم قد وصلوا جملة الوعد(..سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ

[٢١] البحر المحيط ٣١٩/٥ .

أَبَاه..)بجملة(..وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ..)المؤكدة بـ (إن واللام) لتحقيق الموعود به، وإقناع والدهم، معلمهم بصعوبة الأمر والذي كشف عنه تقديمهم الجار والمجرور (..عنه..)**الدال علي الاختصاص**، وعلي تعظيم هذا الأمر على نفسية أبيهم، إذ ليس سهلًا أخذ أخيهم معهم بعدما حصل ليوسف معهم، ولا أبوهم لديه التهيؤ النفسى ليأمنهم على بنيامين، لذ جاءوا بجملة(..وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ..)تذييل للتأكيد مضمون الجملة الأولى(..سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ..) ويحقق حصول الموعود من إطلاق المسبب وهو الفعل على السبب وهو القدرة ، تأكيدًا على تحقيق هذا الوعد، والوفاء به[٢٢]، إذ إنهم يمتلكون أدوات إقناع أبيهم .

ولأجل أن يتم قصد المتكلم أمر فتيانه الكيالين قائلًا:(..ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِيرِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٦٢..)تلك هي الخطوة التي جعلها الله سببا في لم شمل الأسرة من جديد.

تعقيب:

يتضح مما سبق ورود تقابلات جملية تدل على وعي المتكلم الذي هو يوسف بنقاط ضعف المخاطب وبما يفكر فيه، لذا فهو في سلطة أعلى من مخاطبيه، ويملك يملك كل وسائل الترغيب والترهيب في تعامله مع الآخرين وهذه التقابلات هي:

-جملة في صيغة الاستفهام(..أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ٥٩..)[يوسف : ٥٩] تدل علي الأغراء وتقابلها جملة(..فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ٦٠..)[يوسف: ٦٠] وتدل على التحذير والتخويف.

-الجملة الخبرية(..وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ٥٩..)[يوسف:٥٩]تدل علي الترغيب والإغراء، تقابلها جملة (.. وَلَا تَقْرَبُونِ٦٠..)وتدل على التحذير والتخويف في ذات الموقف .

ثالثًا: الخطاب الحواري بين نبي الله يوسف وأخيه بنيامين.

قال تعالى:(..وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ..)[يوسف: ٦٩]

قوله: (..إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ..)**فعل كلامي خبري** جملة إسمية بدل اشتمال من (..ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ..) وقد أكد الخبر بـ (..إِنِّ..)وبصيغة الإسمية وبالقصر الذي أفاده ضمير الفصل(..أَنَا..)**وهو ما زاد في تأكيد مضمون هذه لجملة الخبرية وتقويته، والمعنى** : أنا أخوك لا أجنبي عنك ، كما أن الإضافة في الكلمات(..أَخَاهُ ..)و(..أَخُوكَ..)، دلت على أن حنو يوسف على أخيه أمر طبيعي ، لاستحقاق يوسف لإخوة بنيامين دون غيره ، وأوحت كذلك إلي دلالة الاستعطاف.

ثم يلي المتكلم هذا الخبر جملة الإنشاء المتمثلة في النهي مع حرف الفاء الذي يفيد الترتيب والتعقيب (..فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ..)وهو **فعل كلامي طلبي** استمد **قوته** من النهي بـ(لا) ليفيد (النصح والإرشاد) أي لأنني وحدي - أنا أخوك – عزيز مصر – فلا تحزن لما مضي . من إساءاتهم المتكررة لك، وهذه الدلالة تتسق مع طبيعة يوسف المحب للخير والعدل، وهذا التضافر والتناسق الدلالي بين الخبر والانشاء يعد من أهم سمات السياق القرآني.

رابعًا: الخطاب الحواري بين يوسف وإخوته بصفته عزيز مصر مع أخوته وإبقاء بنيامين معه. بالمكيدة.

---

[٢٢] روح المعاني ٩/١٣-١٠

إن إخوة يوسف حين أخرج الصواع من رحل أخيهم، وأصر يوسف – عليه السلام – على استبقائه ، قالوا: يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩..)[يوسف٧٠ - ٧٩].

هنا ينقلنا السياق إلى محاولة استعطاف يوسف ومساومته لاستبدال أي واحد مكان أخيهم الموقوف على ذمة جريرته، إلا أنها محاولة باءت بالفشل(..قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨..)[يوسف:٧٨].

فقولهم:(.. يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا..)صُدر خطاب الأخوة بالنداء(.. يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ..)وهو **فعل إنجازي مباشر**، انحرف فيه النداء المشتمل على(..يَٰٓأَيُّهَا..) ليدل على غير بنيته الحرفية وهو الإكبار والتعظيم ، والمعنى: يأيها الملك القادر المنيع ، فهذا النداء استعطاف وتذلل ليوسف[٢٣] يليق بالأكابر، ليرق لهم[٢٤].

ثم بالجملة الخبرية المؤكدة(..إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا..)الدالة علي التذلل والاستعطاف، خبر مؤكد ب(إن) لإفادة معني الحث والاستعطاف ، لإطلاق سراح بنيامين ، ولم يأت لأصل الفائدة، لأنهم قد كانوا أخبروا يوسف ـ عليه السلام ـ بخبر أبيهم[٢٥].

بعد هذا الاستعطاف يختم المتكلمون خطابهم لعزيز مصر بجملة خبرية مؤكدة أخري(..إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ..)لزيادة التذلل والاستعطاف، فهم قد أخبروا أخاهم يوسف من قبل أن لهم أبا كبيرًا، ولكنهم أضافوا لأبيهم صفات جديدة لأبيهم ليرق لحالهم .

تقديم والجار والمجرور في(..لَهُۥٓ ..)، يعكس ما في نفوس إخوة يوسف من قلق وتوتر وارتباك إذ يعودن لأبيهم من دون بنيامين، كما كيف يطلبون أخاهم بعدما حدث ليوسف على أيديهم.

لهذا وصف المتكلمون أباهم بأوصاف ثلاث هي ، حنان الأبوة ، والشيخوخة ،واستحقاقه جبر خاطره ، لأنه كبير قومه، والهدف هو ترقيق قلب العزيز - يوسف عليه السلام ـ تجاه أبيهم[٢٦].

فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ واقتران حرف الفاء التي للترتيب والتعقيب مع الفعل اللفظي(..فَخُذۡ ..)له دلالة نفسية، إذ يكشف الخبر الاستعطافي أن الإخوة قد تغيرت نفوسهم إلي الصلاح ، بدليل تسابقهم علي فداء أخيهم ، إذ دل حرف الفاء الذي يفيد الترتيب والتعقيب دون مهلة علي هذا الإيثار ، وكأنهم يقولون ليوسف ـ عزيز مصر ـ خذ أي واحد منا ولا تأخذ بنيامين ، لأنه وديعة ، وأمانة بأعناقنا . وفي ذلك إرضاء لوالدهم . وهذا الخبر يوحي بالتطور الإيجابي في شخصية الإخوة نحو الصلاح والخير والطاعة كما أن الفعل (..فَخُذۡ ..)جاء بعد أوصاف أبيهم الثلاثة للاستعطاف

رد عليهم يوسف – عليه السلام – بصفته عزيز مصر(..مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩..)[يوسف:٧٩].

---

[٢٣] الكشاف ، ٤٦٤/٢ .
[٢٤] نظم الدرر ، ١٨٠/١٠ .
[٢٥] التحرير والتنوير ، ٣٦/١٣ .
[٢٦] روح المعاني ٣٢/١٣ . البحر المحيط ٣٣٠/٥

أرى: من الواضح هنا وجود تشدد نسبي من قبل المتكلم تجاه، إذ إنه لم يقبل بأي اقتراح طرحوه عليه، ربما لأنه يريد أن يمهد لجمع أهله بعد التفرق والشتات، فرأي أن يجب أن يواصل في الاستفادة من هذا الموقف الذي أمره الله تعالي أن يمضي فيه.

خامسًا: الخطاب الحواري لأخوة يوسف مع بعضهم وهم في مصر، بعد إبقاء يوسف لأخيه معه:

يقول تعالى:(..فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّاۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ٨٠ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ٨١ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ٨٢..)[يوسف:٨٠-٨٢](....)

بعدما أنجز يوسف مكيدته لإبقاء بنيامين معه، دار بين الأخوة حوار يتسم بالصدق، وخلوه من الصراعات النفسية، فهو يمثل لأول مرة حالة صدق، وحالة من تحمل المسؤولية تجاه الأب المفجوع في ولديه(..فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ..)من إطلاق عزيز مصر لأخيهم(..خَلَصُواْ نَجِيًّاۖ..)انعزلوا وانفردوا بأنفسهم يناجي بعضهم بعضًا بأقوال كثيرة، منها كيفية مواجهة أبيهم وبنيامين ليس معهم، **وأثناء تلك المناجاة توجه إليهم كبيرهم بمقولات خطابية صريحة.**

المقولة الأولى:(..أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَۖ..)[يوسف:٨٠] **فعل كلامي** عبارة عن استفهام تقريري، قصد به **المتكلم** التذكير بعدم اطمئنان أبيهم بحفظهم لابنه بنيامين[٢٧]، ،ليشتد توجههم في بذل الجهد في الخلاص من غضب أبيهم[٢٨]، ومجيء الجملة الخبرية المؤكدة(..أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ ..) [يوسف:٨٠]تلميح من **المتكلم** باستنكار عزمهم العودة لأبيهم دون أخيهم، بعد أخذ الميثاق العظيم عليهم ، لذا استعمل لفظة(..مَّوْثِقًا..)نكرة لتعظيم ذلك العهد ، إذ هو مقطوع مع الله تعالي العظيم ، كما ذكرهم بما هو أعظم(..وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَۖ..)[يوسف:٨٠] تذكيرًا بأعمالهم الآثمة بحق أخيهم يوسف، لذا جاء بالفعل اللفظي(..فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ٨٠..) [يوسف:٨٠] أي إن أباكم لن يصدقكم فيما ستخبرونه به من أخذ بنيامين في سرقة الصواع، لذا سأبقى في مصر، عسى أن يكون بقائي علامة عنده على صدقكم، إذ يعلم أنني لا أرضى البقاء هنا غريبًا لولا خوفي من مواجهته[٢٩] وقوله :(..أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ٨٠..) [يوسف:٨٠]بيان لما عسى أن يكون الله قد قدره له مما فيه نفعه أو دفعه، فهو سبحانه(..خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ..) ثناء للتعريض بالسؤال أن يقدر له ما فيه رأفة في رد غربته[٣٠]، فهو سبحانه لا جور في حكمه، ولا ناقض له.

ولا يخفى على كل ذي لب هنا أثر هذه المقولة الخطابية(..أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ٨٠..)[يوسف:٨٠] على **نفس المخاطبين، من خوف وقلق، إذ الحالة النفسية للمتكلم اقتضت انبعاث الدلالات المختلفة المتناقضة لتتلاءم مع حالة عدم الاستقرار**

---

[٢٧] نظم الدرر ١٩٢/١٠ .التحرير والتنوير ٣٩/١٣ .
[٢٨] المرجع نفسه
[٢٩] التحرير والتنوير ٤٠/١٣
[٣٠] التحرير والتنوير ٤٠/١٣

والتناقضContradiction للإخوة بعامة وبه هو بخاصة.

المقولة الثانية: (..ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢ ..)[يوسف:٨١-٨٢] مقولة خطابية تتضمنت مجموعة من **الأفعال الكلامية**، بالإضافة إلى احتوائها على مضامين عديدة، لذا لقنّهم **المتكلم** ما يقولون لأبيهم(..ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ..)نصًا (..إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢..) [يوسف:٨١-٨٢].

فقولـه:(..إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١..) [يوسف:٨١] مجموعة من الأفعال الكلامية الخبرية ،فـ(..إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ..)**فعل كلامي** تمثلت **قوة فعله الإنجازي** في مجموعة من البنى اللفظية مثل التوكيد بـ(..إِنَّ..)الثقيلة للتأكيد على الحدث إذ يغني(..ٱبۡنَكَ سَرَقَ..)عن تفصيل ما حدث لعلم المخاطب بجزاء السارق، والحاجة للتوكيد إلى توكيد أخرفي هذه المقولة الخطابية، لا تقل عن الحاجة عن التوكيد الأول، لذا استعمل **المتكلم** أسلوب القصر بقصد زيادة التوكيد؛ وذلك بتقديم الاسم على الفعل في(..ٱبۡنَكَ سَرَقَ..) بديلًا عن (سرق ابنك) تأكيدًا على أنه هو لا غيره، ولأن السياق المقامي يحتاج دفاع عن النفس عند إخبار أبيهم بما اتهم به أخوهم، جاء الفعل الكلامي (..وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا..) [يوسف: ٨١]وقد تمثلت **قوة فعله الإنجازي** في صيغة أسلوب الحصر بـ(..مَا..) النافية و(.. إِلَّا..)الاستثنائية، فهو أمر تثبتناه بأم أعيننا.

ولتدعيم **المتكلم** موقف اخوته أمام أبيهم، أتى **المتكلم** بالفعل الكلامي(..وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ..)وهو"احتراس من تحقق كونه سرق ، وهو إما لقصد التلطف مع أبيهم في نسبة ابنه إلى السرقة وإما لأنهم علموا من أمانة أخيهم ما خالجهم به الشك في وقوع السرقة منه "[٣١]، فما حدث غيب لم نكن نحسب له حسابًا، فبرغم تذكرنا للميثاق، وحرصنا على الوفاء به، إلا أنه أحيط بنا، تذكيرًا له بمقولته عند أخذ الميثاق عليهم (.. إلا أن يحاط بكم ..)، وبالتالي فليسوا بمقصرين.

المقولـة الثالثـة:(..وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢..) [يوسف:٨٢]**فعل كلامي طلبي** تدليل على صدقهم فيما نقلوه، أي واسأل بديلًا عن قولنا القافلة، **وسؤال** (..ٱلۡقَرۡيَةَ ..)مجاز عن أهلها، وسؤال(.. ٱلۡعِيرَ..)إيجاز بالحذف فيه وتقديره واسأل القرية ومن في العير، علي سبيل التوسع والإنجاز[٣٢]، للإيحاء بشيوع قصة السرقة وشهرتها فيما بين الناس، فهم أرادوا إخبار أبيهم ما قالوا له إلا بالصدق، لكن لإحساسهم بأن أباهم لن يصدقهم (.. وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين..) [يوسف:٧١]، جاءوا بالصيغة المؤكدة بنون التوكيد الثقيلة و(..إِنَّا..)واللام في(..لَصَٰدِقُونَ..)فيما أخبرناك به وليس المراد اثبات صدقهم بما ذكر حتى يكون مصادرة بل تأكيد صدقهم بما يفيد ذلك من الاسمية وإن واللام وهو تأكيد في محل القسم"[٣٣]، وهو فعل لفظي يفصح عن مكنون صدورهم من مشاعر، فهم " ما ازدادوا إقامة حجةargument إلا

---

[٣١] التحرير والتنوير ٤٠/١٣

[٣٢] روح المعاني ٣٨/١٣ .

[٣٣]المرجع نفسه.

ازداد يعقوب عليه السلام في قولهم شبهة"[٣٤].

وبعدما انقضى حوار الأخوة مع أبيهم وقد أفضوا إليه بالنبأ الفظيع، طلب منهم العودة إلى مصر وتلمس يوسف وأخيه بنيامين، وألا ييأسوا من رحمة الله، في العثور عليهما، فرحمته واسعة، ولطفه بعباده دائمًا منظور، تأكيدًا لاعتقاده في الله العليم الحكيم(..عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًا..) [يوسف:٨٣].

هنا ينتقل بنا السياق إلى مواجهة الأخوة مع يوسف مرة ثالثة، لاستعطافه وبيان تلك الحالة التي وصلوا إليها، فقد أضرت بهم المجاعة، ونفدت نقودهم، **فيواجهونه بصفته عزيز مصر** قائلين:(..يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ٨٨ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣..) [يوسف:٨٨-٩٣].

فقولهم:(..يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨..) [يوسف:٨٨]متوالية من الأفعال الكلامية الإنجازية.

فـ(..يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ..) فعل كلامي طلبي مباشر لاستعطاف المخاطب، يستمد **قوته الإنجازية** من هذا النداء الذي تتمثل قصديته وغايته **التأثيرية** في شد انتباه الناس إلى الكلام اللاحق، وتنبيه المخاطب بأن يتهيء لتلقي ما بعده من توجيه، واستخدام حرف النداء (..أَيُّهاَ..)دون غيره؛ لأن فيه أوجهًا من التأكيد وأسبابًا من المبالغة، منها ما في **(ها)** من التنبيه، وما في **(أي)** من التدرج من الإبهام إلى التوضيح، والمقام يناسب المبالغة والتأكيد؛ لما هم فيه من أمر جلل، فاقتضى الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ[٣٥].

و(..مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ ..)**فعل كلامي خبري** لإثارة عاطفة الشفقة والرحمة لدي المخاطب، واستعمال المخاطبين للفظة(..وَأَهۡلَنَا..)كان له الأثر البالغ في نفس المخاطب لتذكيره بأبيه.

وقد كان لهذا **الفعل الإنجازي تأثير** في لفت انتباه المخاطب وايقاظه، فـ(أي) التي للإبهام و (ها) التي للتنبيه، وهي أكثر أساليب الاستفهام ورودًا في القرآن الكريم[٣٦]، وسر النداء بهذه الطريقة للتأكيد والمبالغة[٣٧].

أما(..فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ..) [يوسف:٨٨]فهو **فعل كلامي توجيهي مباشر**، صادر من **متكلمين** وصلوا إلى حالة من التمسكن والتذلل الواضح ، من أجل التصدق عليهم ، فهم رغم مجيئهم للبحث عن أخوتهم إلا أنهم يبحثون مع العزيز مسألة

---

[٣٤] القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان النيسابوري(ت:٤٦٥هـ): ، تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م، ١٩٨/٣.

[٣٥] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر(٩١١هـ): الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د. ط، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م، ٣/ ٢٨٣.

[٣٦] محمد أبو موسي، دلالات التراكيب ، ص ٢٦٢-٢٦٣ .

[٣٧] محمد أبو موسي ، من أسرار التعبير القرآني ، دار الفكر العربي ، ١٣٩٦هـ ، ١٩٧٦ م ، ص٥ .

الطعام، وما ذاك إلا لسوء حالتهم، ولعل عدم البدء بمراجعة العزيز في أمر بنيامين، هو اعتبار أن ذلك سيكون تجاوزًا معه بعد ما راجعوه فيه أول مرة ، فأرادوا تجنب سخطه، وقد استعمل المتكلمون فعلي صيغة الأمر(.. فَأَوۡفِ..)و(..وَتَصَدَّقۡ ..)فطلبهم بإيفاء الكيل لهم علي وجه الأمر؛ لأن ذلك الكيل من حقهم ، يقول الزمخشري:" فأوف لنا الكيل الذي هو حقنا"[٣٨] ففعل الأمر بذلك يكون فعلًا كلاميًا مباشرًا . أما فعل الأمر(..وَتَصَدَّقۡ..)وإن كان جاء علي صيغة الأمر إلا أن مقامهم لا يسمح لهم بطلب الصدقة، مثلما يطلبون حقهم كاملًا في الكيل، لذا استعملوه بغرض الامتنان ، أي أن يمن عليهم بما تجود به يداه.

ولما رأوا أفعاله تدل على تمسكه بدين الله، عللوا طلبهم للصدقة بقولهم[٣٩]: (..إِنَّ ٱللَّهَ..) أي الذي له الكمال كله (..يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ..)أي مطلقًا، وإن كانت على غني قوي، فكيف إذا كانت على أهل الحاجة والضعف[٤٠]، فـ(.. إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ..)[يوسف:٨٨]**فعل إنجازي خبري** تعليل لاستدعائهم التصدّق عليهم[٤١]، وقد استمد هذا الفعل قوته الإنجازية من صيغة الاسمية المؤكدة بالنون الثقيلة، ومن صيغة المضارعة الدالة على الاستمرارية، مما كان له أثره النفسي على المخاطب؛ فعندما يبلغ الأمر بهم إلى هذا الحد من الاسترحام والضيق والانكسار، لا يتحمل يوسف المضي في التخفي عنهم بحقيقة شخصيته، فالدروس والمواعظ قد حققت أهدافها، وحان وقت المفاجأة الكبرى، بالإفضاء بالحقيقة إليهم، لذا ينتقل بنا السياق إلى حوار يتجلى فيه البعد الإنساني بامتياز فيبدأ يوسف بمقالته الخطابية لهم:(..هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩..) [يوسف:٨٩]وهو فعل كلامي مباشر من جملة الأفعال التوجيهية، استمد قوته الإنجازية من الاستفهام بـ (..هَلۡ..)فـ" يوسف كلم إخوته مستفهما عن وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب، فقال :هل علمتم قبح (ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون) ، أنتم لا تعلمون قبحه، فلذلك أقدمتم عليه ، يعني : هل علمتم قبحه فتبتم إلي الله منه ، لأن علم القبح يدعو إلي الاستقباح ، والاستقباح يجر إلي التوبة، فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحًا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا" [٤٢]، قد تضمن هذا الاستفهام[٤٣] دلالة التذكير[٤٤]والتوبيخ[٤٥]، مع التقرير فمراد المتكلم تعظيم الواقعة أي ما أعظم ما ارتكبتم في يوسف وأخيه[٤٦].

ولأن ما حدث ليوسف، حصل قبل زمن طويل، فها هو علي سبيل التأنيس وبسط العذر يقول:(..إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ..)، وهو فعل كلامي تلويحًا بذلك الوقت الذي فعلوا فيه فعل الجهال،

---

[٣٨] الكشاف ٣٤٠/٢ .
[٣٩] نظم الدرر ٢٠٥/١٠
[٤٠] المرجع نفسه
[٤١] التحرير والتنوير ٤٧/١٣
[٤٢] الكشاف ٣٤٠/٢-٣٤١
[٤٣] ورأيي: أن استفهام تضمن هذه المعاني التداولية آنفة الذكر، فهو تقرير وتوبيخ وتذكير يوحي بالعتاب، إذ هم علي ما يعلمونه محققا في أفعالهم الذميمة، وهي بحق يوسف واضحة ، وبحق أخيه فهي كاشفة عن إهانتهم له. وقصد يوسف من هذا وذاك هو تعظيم الواقعة إذ هي حدث جلل.
[٤٤] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر(٩١١هـ):الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، د. ط، ص ٨٠/٢
[٤٥] الجامع لأحكام القرآن ، ٢٥٤/٩ . التحرير والتنوير ٤٧/١٣
[٤٦] روح المعاني ٤٨/١٣.

بمقتضى إفهامًا لهم أنهم الآن خلاف ذلك، بالإضافة إلى تذكيرهم بالذنب ليتوبوا، وذلك تلطفًا معهم في ذلك المقام ، الذي هو فرجة وتنفيس للمكروب[٤٧]

من الواضح هنا: أن مقصد الاستفهام(..هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩..) [يوسف:٨٩]تناسب مع شخصية يوسف، فهو عزيز مصر الذي بيده فعل أي شيء تجاههم ، لكنه رسولًا نبيًا، فلابد وأن يتناسب العفو والسماح مع تذكير ونصح الناس مع شخصيته أيضًا[٤٨].

في هذه اللحظة التي سمع فيها الأخوة مقولة عزيز مصر هذه ، واستشعروا من كلامه، ورأوا فيه علامات تميزه من ملامحه وهو صغير، استشعروا من كلامه ثم من ملامحه جري في نفوسهم أنه يوسف؛ قالوا:(..أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠..) [يوسف:٩٠].

فقولهم: (..أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ..)سبق وأن بينت الآيات محو بيانات يوسف من ذاكرة أخوته قال تعالى: (..وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٨٥..)[يوسف :٨٥]فإنكارهم ليوسف كان ثابتًا وخاصًا والدليل تقديم المتعلقلَهُفيوَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ..)الذي يفيد الاختصاص، فيوسف لم يكن ليخفي علي أحد فكيف يخفي عليهم ؟! فيوسف قد عرفهم بمجرد دخولهم عليه، بلا مهلة زمنية والدليل وجود حرف (الفاء) في(..فَعَرَفَهُمۡ..)الذي يفيد التعقيب، وهم كانوا(..لَهُۥ مُنكِرُونَ..)ربما لاعتقادهم أنه قد هلك ، ولقلة فكرهم فيه ، واهتمامهم بشأنه ، ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحًا في البئر ...[٤٩].

وهذا الملفوظ (..أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ..) هو **فعل كلامي طلبي استفهامي تقريري** صادر عن أخوة يوسف، **<u>وهو فعل كلامي انبثقت عنه معاني تداولية ثلاث هي</u>**:

١- التأكيد والتحقيق، بدليل استعمال المتكلم لأدوات التوكيد (..إنَّ..)المشددة في(..أَءِنَّكَ..)ولام الابتداء وضمير الفصل في(..لَأَنتَ..)لشدة تحققهم أنه يوسف عليه السلام. وأدخل الاستفهام التقريري على الجملة المؤكّدة لأنهم تطلبوا تأييده لعلِمهم به"[٥٠] .

٢- الاستبعاد؛ لأن الإخوة استبعدوا أن يكون العزيز يوسف، أو يوسف عزيزًا[٥١].

٣- التقرير المصحوب بالاستغراب والتعجب ، إذ هو كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستيثاق[٥٢]، وقد عرفوه عندما تبسم بثناياه، وكانت كاللؤلؤ المنظوم[٥٣].

<u>على أية حال فإن تلك المعاني التداوليةالمنبثقة من الاستفهام تتناسب مع الموقف الكلامي وسياق حاله ، والحالة النفسية والشعورية للمتكلمين، فمنهم من تعجب ، ومنهم من استغرب ، ومنهم من استبعد، أن يكون الذي أنفى في الجب، قد وصل إلى ما وصل إليه .</u>

---

[٤٧] نظم الدرر ٢٠٦/١٠

[٤٨] الملاحظ في موقف يوسف مع إخوته هنا ، شبيه بموقف الرسول صلى الله عليه وسلم مع قومه عند فتح مكة، إذ الأنبياء أجمع على خلق عظيم.

[٤٩] الكشاف ٣٢٩/٢

[٥٠] التحرير والتنوير ٤٩/١٣

[٥١] روح المعاني ١٣/ ٤٨ .

[٥٢] المرجع نفسه.

[٥٣] الكشاف ٣٤٢/٢ . روح المعاني ١٣/ ٤٩ .

قوله:(..أَنَا يُوسُفُ..)**فعل كلامي خبري**،تمثلت **قوته** الإنجازية من مجئ المسند إليه ضمير ليشير" إلى شخص معين ماثل أمامهم، إلا أن السياق جاء يصف ذلك الشخص بوصف جديد يجهلونه وهو أن اسمه يوسف"[٥٤]، فالملفوظ هنا مجرد عن التأكيد لأنهم كانوا متحققين ذلك فلم يبق إلا تأييده لذلك[٥٥]،ومبالغة في تعريف نفسه أتى بالفعل الكلامي(..وَهَٰذَآ أَخِيۖ..)خبر مستعمل في التعجيب من جمع الله بينهما بعد طول الفرقة[٥٦]، وقد جاءت الإشارة(..وَهَٰذَآ..)لاستحضار شيء ما سبق ذهنيًا ، ليفيد التقرير والتوكيد، لذا فهي حققت قربًا مكانيًا وزمانيًا، كما أن مجيئها عمل على تفخيم شأن الأخوة، فهم إن " كانوا يشاهدون بنيامين ويرونه بأعينهم ، ويعرفون كل سماته ، غير أنهم يجهلون أخوّته للشخص الماثل أمامهم"[٥٧].

يتضح من جواب يوسف(..أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ..)ما يدل على قوة الآصرة الوجدانية بينه وبين أخيه بنيامين، فاعتداء الإخوة قد أصابهما معًا، بالإضافة إلى أن أمهما مختلفة عن أمهات باقي الأخوة، فبنيامين إن كان معلومًا عند أخوته؛ إلا أنه هو المستحق لأن يكون أخًا ليوسف لا هم؛ لذا ضمه إليه وقال:(..وَهَٰذَآ أَخِيۖ..).

أما قوله:(..قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ٩٠..)[يوسف:٩٠] مقولة خطابية زيادة في الجواب مبالغة وتفخيمًا لشأن الأخ، وهي عبارة عن متوالية من الأفعال الكلامية أراد المتكلم من خلالها تعليم إخوته وسائل التعرض إلى نعم الله تعالى، وحثهم على التقوى والتخلق بالصبر، وذلك تعريضًا بأنهم لم يتقوا الله فيه وفي أخيه، ولم يصبروا على ما توهموه من إيثار أبيهم إياهما[٥٨]، إذ كان ولابد سائلين لسألوا ما فعل الله تعالى به من الامتنان والاعزاز وكذلك بأخيه[٥٩]،وذكر المحسنين بدلًا من الضمير (هم) إذ مقتضي الظاهر أن يقول : (فإن الله لا يضيع أجرهم) ، ولكنه عدل إلي الإظهار، وذلك لتعميم الحكم، فيدخل في عمومه هو وأخوه ؛ لأن(المحسنين لفظ يشمل المتقين والصابرين معا)[٦٠].

دخول (إن) علي ضمير الشأن في(.. إِنَّهُۥ..)المعقب بالجملة الشرطية(..مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ..)لأن ضمير الشأن يستخدم في الأمور العظيمة كالإحسان، والتقوي، والصبر، ويقول عبد القاهر: "ومن خصائص(إن) أنك تري في ضمير الشأن معها ، من الحسن واللطف ما لا تراه إذا هي لم تدخل عليه ، بل تراه لا يصلح حيث يصلح إلا بها"[٦١].

قولهم:(..تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١..) [يوسف:٩١] **فعل إنجازي** تمثلت **قوته الإنجازية** في صيغة الأسلوب الإنشائي الغير طلبي مؤكد بالقسم(..تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا..)ضمن سياق تعجب مستعمل في لازم الفائدة، وهي علمهم ويقينهم بأن ما نال يوسف من

---

[٥٤] إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، مصر، ط٣، ١٩٦٦م، ص ٣٠٧ .
[٥٥] التحرير والتنوير ٤٩/١٣
[٥٦] المرجع نفسه
[٥٧] من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس، ص ٣٠٧ .
[٥٨] أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص٥٣٥.
[٥٩] روح المعاني ٤٩/١٣
[٦٠] البرهان في علوم القرآن ٤٩٣/٢ .
[٦١] دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، ٣١٧ .

عزة ورفعة ، هو إيثار من الله تعالى[٦٢]، وأقروا بعلو مرتبته، بالاعتراف المؤكد بخطئهم تجاهه(..وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ..)، واستعمال(.. إِن..)المخففة ، رغم أنهم يخاطبون من أساءوا إليه إساءة مباشرة ، وكان عليهم أن يأتوا بـ(إن) المشددة ، للدلالة علي زيادة التوكيد، لإحساسهم بأن فعلتهم تلك عادت عليه بالخير والرفعة؛ فإن الله بوأه مكانة عالية ، ومكن له في الأرض، والدليل أن يوسف دعا لهم بالمغفرة دون أن يسألوها منه قال تعالي : (..قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ٩٢..)[يوسف : ٩٢] **فعل كلامي** جاءت لفظة(..عَلَيۡكُمُ..)للتأكيد ،إذ يُكتفى بـ لا تثريب، و(..ٱلۡيَوۡمَۖ..)متعلق بالفعل(..يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ..)فبعدما تلفظ يوسف بالجملة المتضمنة معني المسامحة، تلاها بالجملة الدعائية الخبرية(..يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ..)وهي **فعل كلامي** استمد **قوته الإنجازية** من صيغة المضارع والفاعل لفظ الجلالة(..ٱللَّهُ..)وهو **فعل كلامي** يوحي بالبشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم علي خطيئتهم[٦٣] وهو إظهار لرغبة المتكلم في تحقق المغفرة ووقوعها، لذا عدل عن (اللهم أغفر لهم)، فالله يغفر لهم في تلك الساعة -(..ٱلۡيَوۡمَۖ..)- لأنها ساعة توبة[٦٤]، وهو عكس ما خاطبوا به أباهم في مقام الاعتراف والإقرار بخطئهم إذ(..قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ٩٧..) [يوسف:٩٧]حيث إنهم استعملوا إنَّ المشددة؛ لأنهم رأوا أن جراء ما فعلوه بأبيهم هو الوهن ، واللوعة ، وحرقة الفؤاد ، وذهاب عينيه من الحزن ، فكان الشعور بالخطيئة مع أبيهم أعظم، مما دعاهم إلي توكيد الاعتذار على ما فعلوه به؛ لذلك هم الذين طلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم.

ثم ينتقل المتكلم لما هو لشأن آخر وهو الأهم، شأنأبيهالذي ابيضت عيناه من الحزن، قائلًا: (..ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣..) [يوسف:٩٣]متوالية من الأفعال الكلامية التوجيهية المباشرة تتابعت فيها صيغ الأمر من قبل المتكلم (..ٱذۡهَبُواْ ..)،(..فَأَلۡقُوهُ..)،(..وَأۡتُونِي..)**<u>وهو ما يدل على الحالة النفسية ليوسف وشدة لهفته، لدرجة أنه تكاد تضيء النار بين جوانحه؛ شوقًا للقاء أبيه؛ فهولم يره منذ أمد بعيد، لذا قصد يوسف تحقيق المقاصد التداولية من خلال هذه الصيغ الأمرية لهذه الأفعال الكلامية ، على النحو التالي[٦٥]:</u>**

١-(..ٱذۡهَبُواْ..)لقصد تعجيل المسرة لوالده، واسم الإشارة(..هَٰذَا..)لتمييز المشار إليه في ذهن السامع، فقميص يوسف فيه خصوصية، وتميز، فيه سر إلهي إعجازي، إذ بمجرد إلقائه علي وجه والده يعقوب يرتد بصيرًا .

٢-(..فَأَلۡقُوهُ..)لقصد المفاجأة بالبشري، والعطف بالفاء هنا تفيد الترتيب والتعقيب دون تراخ لذلك جاء بعدها(..فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٩٦..)[يوسف:٩٦].

---

[٦٢] التحرير والتنوير ٥٠/١٣
[٦٣] الكشاف ٣٤٢/٢..
[٦٤] التحرير والتنوير ٥٠/١٣
[٦٥]

٣-(.. وَأْتُونِي..)لقصد صلة أرحام أهل عشيرته ، إدماج أمر الإتيان بارتداد بصر أبيه زيادة وتأكيدًا في البشرى وتعجيل المسرة لهم ولأبيه.

المطلب الثالث: الخطاب الحواري بين نبي الله موسى وأخيه هارون.

ورد الخطاب الحواري بين نبي الله موسى وأخيه هارون في سورتي الأعراف وطه، ففي سورة الأعراف يقول تعالى:(..وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ١٤٢..)[الأعراف:١٤٢] وأثناء مناجاة موسى لربه، أخبره الله تعالى بفتنة قومه مع السامري (..وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١..)**[الأعراف: ١٥٠ -١٥١].**

وفي سورة طه يقول تعالى:(.. وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ٨٤ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ..) ٨٥ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ٨٦ ..)[طه: ٨٣-٨٦]فتوجه لأخيه هارون قائلًا:(..يُهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ٩٣ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ٩٤ ..)[طه: ٩٢-٩٤].

كما هو واضح من خلال ماورد في السورتين الكريمتين، نجد أن الخطاب الحواري فيهما مر بأربعة مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة المواعدة واستخلاف هارون على قومه، وكانت قبل ذهاب موسى للقاء ربه، وقد ناصح موسى فيه أخاه هارون قائلًا:(.. ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ١٤٢..)[الأعراف: ١٤٢].

فالخطاب يشتمل على ثلاثة **أفعال كلامية توجيهية** (أمر) يحمل كل فعل منها **قوة إنجازية** تحددها إرادة المتكلم وقصده، وهي إرادة متعلقة بطلب إيقاع المأمور به، وهذه الأفعال هي:

أولًا:(..ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي..)**فعل كلام توجيهي** يحمل **قوة إنجازية** حرفية هي الأمر الصريح طلب فموسى يطلب من أخيه أن يكون نائبًا عنه حتى يرجع من لقائه بربه جل وعلا؛ **فبمجرد نطق موسى لهذا الفعل الكلامي وأدائه** له لفظيًا يتحقق إنجازه من قبل هارون ويصير في قومه كأنه موسى.

ثانيًا:(..وَأَصْلِحْ ..)فهو **فعل كلامي أمر** استمد **قوته** من صيغة الأمر، وتكمن قوته الإنجازية في النصح والإرشاد فالمقولة الخطابية إن كانت بنيتها السطحية الأمر إلا النصح كان مقصودها.

ثالثًا:(..وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ..)فهو **فعل كلامي** استمد **قوته** الإنجازي من صيغة النهي بـ(لا) وصيغة المضارعة الدالة على التجدد والاستمرار، وإضافة السبيل إلى المفسدين، "تحذير من الفساد بأبلغ صيغة لأنها جامعة بين نَهي والنهي عن فعل تنصرف صيغته أول وهلة إلى فساد

المنهي عنه وبينَ تعليق النهي باتباع سبيل المفسدين"[٦٦]، ليكون فعله التأثيري حث هارون على الثبات والشد على يده؛ حتى يقوى على مواجهة ما قد يحدثه بنو إسرائيل في غيابه، فموسى أدرى بهم وأفهم لطبائعهم، ورغم أن كلا الأخوين نبي مرسل من ربه، مما يستحيل معه اتباع سبيل المفسدين، لكن النصيحة حق وواجب ، وبخاصة أن موسى يعرف طبيعة بني إسرائيل، لذلك توجه موسى إلى أخيه قبل اعتزاله ولقاء ربه، بخطاب يوصيه فيه بأن يصلح ما يجب أن يُصلح من أمور قومه – بني إسرائيل ، وبإلا يطيع أو يتبع من يدعوه إلى الفتنة والإفساد[٦٧].

الواضح مما سبق أن الخطاب الحواري بين موسى وأخيه هارون قبل لقائه لربه، كان هادئًا ، مشمول بنصيحة من أخ (نبي) لأخيه(النبي).

المرحلة الثانية: مرحلة إنباء موسى بفتنة عبادة قومه لعجل السامري، وكان ذلك أثناء مناجاته له سبحانه قال تعالى مخاطبًا موسى: (..فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ٨٥..) [طه: ٨٥] هنا توقف الحوار بين الله تبارك وتعالى وكليمه موسى – عليه السلام- ، وسارع موسى – عليه السلام – بالعودة منفعلًا ، وفي نفسه حزن شديد،لمواجهة قومه (..فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ..)[طه: ٨٦]جاءت (الفاء) العاطفة هنا للدلالة على الاندفاع المتهور، فرجوع موسى كان من هول الخبر إلى قومه، وهو غضبان أسفًا[٦٨]، منزعجًا[٦٩]، مبتدئًا حواره من العام قبل الخاص، متدرجًا مستفهمًا أطرافًا ثلاثة، قومه أولًا، فهارون ثانيًا، فالسامري ثالثًا، وقد بدأه مستفهمًا، وانتهى منه متوعدًا ، محذرًا.

وعندما قدم موسى وجد فتنة بني إسرائيل على أشدها رغم نصح هارون لهم في غياب أخيه موسى، وجه لهم مجموعة من الاستفهامات مستنكرًا عليهم ما قاموا (..أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي..)[طه: ٨٦]،(..بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ..)**[الأعراف: ١٥٠]**أي "بئست خلافة خلفتمونيها خِلَافَتُكم؛ فهم لما تركوا ما كان يفعله موسى من عبادة الله وصاروا إلى عبادة العجل فقد انحرفوا عن سيرته فلم يخلفوه في سيرته".[٧٠]

لعل السبب في توجيه الخطاب لبني إسرائيل بهذا الاستفهامات الاستنكارية ، هو عدم وجود السامري الذي كان السبب في عبادة العجل ؛ إذ لو كان موجودًا لانكشف السبب الداعي لهذه

---

[٦٦] التحرير والتنوير ٨٧/٩

[٦٧] الكشاف ١١١/٢ . التحرير والتنوير ٨٨/٩.

[٦٨] الغضب والأسف عملية نفسية فيها حزن وسموها: (المواجيد النفسية)، أي الشيء الذي يجده الإنسان في نفسه، وقد يعبر عن هذه المواجيد بانفعالات نزوعية، ولذلك تجد فارقاً بين من يحزن ويكبت في نفسه، وبين من يغضب، فمن يغضب تنتفخ أوداجه ويحمر وجهه ويستمر هياجه، وتبرق عيناه بالشر وتندفع يداه، وهذا اسمه: غضبان. وصار موسى إلى الحالتين الاثنتين؛ وقدّم الغضب لأنه رسول له منهجه. ولا يكفي في مثل هذا الأمر الحزن فقط، بل لابد أن يكون هناك الغضب نتيجة هياج الجوارح.، والأسف عند موسى لن يظهر للمخالفين للمنهج. بل يظهر الغضب وهو عملية نزوعية، ونلحظ بكلمة أَسِف. وهي مبالغة. فهناك فرق بين أَسِف وآسف، آسف خفيفة قليلاً، لكن أَسِف صيغة مبالغة، مما يدل على أن الحزن قد اشتد عليه وتمكن منه. تفسير الشعراوي للآية ١٥٠ من سورة الأعراف

[٦٩] انزعج موسى في هذه اللحظة من تأريخ بني إسرائيل انزعاجا شديدا لم يسبق له مثيل ، لأنه وجد نفسه أمام أسوأ المشاهد ألا وهو الانحراف عن التوحيد إلى عبادة العجل ، وكان يرى جميع آثارها وأخطارها المتوقعة . الشعراوي تفسير الشعراوي للآية ٨٦ من سورة يوسف.

[٧٠] التحرير والتنوير ١١٤/٩

الفتنة، لذا عندما توجه موسى – **عليه السلام-** بخطابه إلى السامري، لم يكن ثمت استفهام استنكاري لانكشاف سبب هذه الفتنة.

المرحلة الثالثة: مرحلة انفعال موسى على أخيه هارون والاشتداد عليه، وكانت هذه المرحلة بعد رجوع موسى من لقاء ربه، وعلمه بعبادة قومه لعجل السامري، لذا سنجد اختلافًا واضحًا في الخطاب الحواري لموسى مع أخيه هنا عما كان قبل ذهابه للقاء ربه، فموسى رجع **مندفعًا** مستهجنًا مشحونًا بالغضب والأسف لأقصى حد ممكن؛ وقد اتضحت حالته النفسية تلك من إلقائه الألواح من يده.

فمن هول الخبر انتقل سياق خطاب موسى الحواري لأخيه من مجرد فعل قولي من خلال استفهامات واستفسارات إلى - لغة حركية- فعل مادي، تمثل في(..وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ ..)وفي الإمساك برأس أخيه ليجره إليه (..وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ..) [الأعراف:١٥٠] أما طرح الألواح فمن شدة الغضب لله وفرط الضجر حميّة للدين ، للدلالة على أن" الخبر ليس كالعيان، فبرغم أن خبر عبادة قومه لعجل السامري" من الله يقين لا شك فيه لم يلق الألواح ، ولكنه لما عاين قومه حول العجل يعبدونه أثرت فيه معاينة ذلك أثرًا لم يؤثره فيه الخبر اليقين بذلك ، فألقى الألواح حتى تكسرت ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه لما أصابه من شدة الغضب من انتهاك حرمات الله تعالى[٧١]"،ومما لا شك فيه أن ثورة غضب موسى هذه، وإلقائه للألواح كان له أثر تربوي بالغ في نفوس بني إسرائيل، إذ نصحهم بالكلمات اللينة والمواعظ الهادئة ، لكان قبولهم لكلامه ونصحه تأثيره أقل بكثير .

وأما أخذه برأس أخيه هارون يجره إليه أي "إمساكه بشعر رأسه ، وذلك يولمه ، فذلك تأنيب لهارون على عدم أخذه بالشدة على عَبدَة العجل ، واقتصاره على تغيير ذلك عليهم بالقول ، وذلك دليل على أنه غير معذور في اجتهاده الذي أفصح عنه هارون بقوله : (..إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ٩٤ ..)[٧٢][طه: ٩٢-٩٤].

وأثناء إمساك موسى برأس أخيه يجره إليه قال له:(..يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي٩٣..)[طه :٩٣] وهو **فعل كلامي طلبي** مباشر فموسى علم موسى أن هارون مخصوص من قومه بأنّه لم يعبد العجل ، إذ لا يجوز عليه ذلك لأنّ الرسالة تقتضي العصمة، فلذلك خصه بخطاب يناسب حاله بعد أن خاطب عموم الأمة بالخطاب الماضي،وهو خطاب توبيخ وتهديد على بقائه بين عبدة الصنم، والاستفهام في (..مَا مَنَعَكَ..)إنكاري، أي لا مانع لك من اللحاق بي ، لأنه أقامه خليفة عنه فيهم فلما لم يمتثلوا أمره كان عليه أن يرد الخلافة إلى من استخلفه لذا قال له:(..إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ..)[٧٣]والمعنى : ما منعك أن تتبعني واضطرّك إلى أنْ لا تتبعني ، وذلك تأكيدُ وتشديدُ التوبيخ بإنكار أن يكون لهارونَ مانع حينئذ من

---

[٧١] محمد الأمين الشنقيطي(١٣٩٣هـ): أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار إحياء التراث، بيروت ، لبنان، ط١، ٢٠٢٠م، ٥٦/٣.

[٧٢] التحرير والتنوير ١١٦/٩

[٧٣] التحرير والتنوير ٢٩١/١٦

اللحاق بموسى ومقتض لعدم اللحاق بموسى ، والاستفهام في قوله(..أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي..)إنكار ثان على مخالفة أمره ، مشوب بتقرير للتهديد[٧٤].

ومن خلال مقولات خطابية حوارية، تضمنت ملفوظات لغوية إقناعية لهارون استطاع احتواء غضب أخيه موسى حيث جاءت مقولته الخطابية الحوارية الأولى مصدرة بنداء مستوف الأداة :(.. يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ٩٤ ..)[طه: ٩٤].

وجاءت مقولته الخطابية الحوارية الثانية مصدرة بنداء غير مستوف الأداة :(..ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ..)[الأعراف:١٥٠].

لعل اختلاف مقام وسياق الكلام ألزم هارون ذلك، إذ في سياق سورة طه كان هارون في حاجة إلى استعطاف أخيه بود وحذر، بعكس سياق سورة الأعراف، إذ لم يكن هارون متوقعًا لشدة غضب أخيه موسى وأسفه، فلما رآه يأخذ بلحيته ورأسه، علم أن موسى في حالة غضب وأسف يجب معه استعمال(..يَبْنَؤُمَّ..)بدلًا من(..ٱبْنَ أُمَّ..).

من هاتين المقولتين الخطابيتين الحواريتين تتكشف لنا متوالية من الأفعال الكلامية، أما المقولة الخطابية الحوارية الأولى والمصدرة بنداء مستوف الأداة :(.. يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ٩٤ ..)[طه: ٩٤] فاشتملت على الأفعال الكلامية الآتية:

١-(..يَبْنَؤُمَّ..)**فعل إنجازي مباشر** وهو نداء لقصد الترقيق والاستشفاع[٧٥]،واستعمال المتكلم للنسبة - التعريف بالإضافة - إلى الأم مع كونه أخاه لأبيه وأمه، استعظامًا لحق الأم ، ولاستعطاف أخيه ، وترقيق قلبه، والتماس لعدم إنزال العقوبة به، فـ " إخوة الأم أقوى أواصر الأخوّة ، وهي آصرة الولادة من بطن واحد والرضاعِ من لبن واحد وبالتالي إلف واحد"[٧٦].

وقد جاءت أداة النداء للبعيد (يا) ليدلل على عظم الأمور المهمة التي تأتي بعده ، ولم يكن مقصودًا لذاته، بل المقصود ما بعده، وهذه الصيغة لها أثر شديد في جذب انتباه السامعين والاستحواذ عليهم.

٢-قوله: (.. لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ..)[طه: ٩٤] فعل كلامي طلبي مباشر نهي ، وتقديم المتكلم للأسلوب الذي يحنن المخاطب وهو النداء بإخوة الأمومة(..يَبْنَؤُمَّ..)على النهي (..لَا تَأْخُذْ ..)إنما كان من أجل تخفيف غضب أخيه، كما أن الأخذ من قبل موسى هنا كان للرأس واللحية معًا وهو تفصيل رغم أن اللحية مما تشتمل عليه الرأس؛ " لأنّ أخذه من لحيته أشد ألمًا وأنكى في الإذلال"[٧٧]، كما أن النهي هنا ليس على حقيقته، وإنما هو للالتماس، لأنه نهي من المساوي، ليس

---

[٧٤] المرجع نفسه.
[٧٥] التحرير والتنوير ١١٧/٩
[٧٦] المرجع نفسه ٢٩٢/١٦
[٧٧] المرجع نفسه.

فيه استعلاء، ولا إلزام، والالتماس بالنهي مقام الالتماس، لإظهار الحرص على ترقيق الأخ على أخيه، والأصل القوي في العفو والتسامح فقد كان لهارون عذر أمام أخيه[٧٨].

ثم يعتذر هارون لموسى عن بقائه بين القوم بقوله:(..إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ..)[طه: ٩٤]**فعل كلامي خبري**، تمثلت **قوته الإنجازية** في صيغة الجملة الإسمية المؤكدة بالنون الثقيلة(.. إِنِّي..) لتوكيد الخب، أي خشيت أن يقع انشقاق بين القوم وربما اقتتال، إذ أسباب الفرقة كانت حاضرة فخشيت أن مخالفة قولك (..وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ١٤٢..)[الأعراف: ١٤٢] وهو معنى(..وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ..)[طه: ٩٤]إذ رأى في سلوك هذه السياسة تحقيقًا لقول موسى هذا له ؛ لأنّ مصلحة صلاح الاعتقاد هي أم المصالح التي بها صلاح الاجتماع ، ولذلك لم يكن موسى خَافيًا عليه أن هارون كان من[٧٩]واجبه أن يتركهم وضلالهم وأن يلتحق بأخيه مع علمه بما يفضي إلى ذلك من الاختلاف بينهم[٨٠].

وأما المقولة الخطابية الحوارية الثانية وغير المصدرة بنداء مستوف الأداة:(..ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ..) [الأعراف:١٥٠] فتشتمل على الأفعال الكلامية الآتية:

أولًا:قوله: (..ٱبْنَ أُمَّ..)**فعل كلامي طلبي مباشر** تمثلت **قوته الإنجازية** في النداء الذي أتى للترفيق والاستشفاع، وحذف حرف النداء لإظهار ما صاحب هارون من الرعب والاضطراب أي: قال هارون: يا ابن أمي إن القوم استذلوني وقهروني وقاربوا قتلي، وقد نهيتهم ولم يكن معي من الجمع ما أمنعهم به عن هذا العمل، فأنا لم أقصر في نصحهم[٨١]، بالإضافة إلى أن هذا النداء سبقه نداء مستوف الأداة(..يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي..)[طه: ٩٢-٩٤].

ثانيًا:(..إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي..)[الأعراف:١٥٠] **فعل كلامي خبري**، استمد **قوته الإنجازية** من مجيء الخبر مؤكدًا بحرف التوكيد(.. إِنَّ..)لتحقيقه لدى موسى، لأنه بحيث يتردد فيه قبل إخبار المخبر به ، والتأكيدُ يستدعيه قبولُ الخبر للتردد من قِبَل إخبار المخبر به ، وإن كان المخبر لا يُظن به الكذب ، أو لئلا يظن به أنه تَوهم ذلك من حال قومه ، وكانت حالهم معروفة عند موسى فجاء التأكيد في موضعه[٨٢]، ومن ثَم جاء الغرض التأثيري هو الاستعطاف وطلب السماح والعفو.

ثالثًا:(..وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي..)[الأعراف:١٥٠]**فعل كلامي خبري** أخر يدل على أنه عارضهم معارضة شديدة، وصلت أخر مجهودات الطاقة البشرية، إلى درجة أنهم فكروا في قتله ،ثم سلّم خشيةَ القتل.

بذلك يكون أدى هارون بفعليين كلاميين أخرين هما:

---

[٧٨] عرفه، عبد العزيز عبد المعطي:من بلاغة النظم العربي(دراسة تحليلية لعلم المعاني)، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م، ٩٠/٢.
[٧٩] التحرير والتنوير ٢٩٣/١٦
[٨٠] المرجع نفسه.
[٨١] التحرير والتنوير ١١٦/٩.
[٨٢] المرجع نفسه ١١٧/٩.

رابعًا:(..فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ..)[الأعراف:١٥٠]**فعل كلامي توجيهي** نهي يحمل معنى الالتماس لأنه من المساوي بلا استعلاء، أي لا تسيء إليّ حتى لا يُسر الأعداء – عبدة العجل - ويتشمتوا بإهانتك لي، ولا تجعلني في عداد الظالمين بالمؤاخذة أو النسبة إلى التقصير، فطلبه ذلك كناية عن طلب الإعراض عن العقاب[٨٣]، ووصف المتكلم للقوم الذين دعوا إلى عبادة العجل بالأعداء، تأكيد على أن موقفه منهم كان موقف المعادي، ودليل على أنهم كادوا يقتلونه بسبب تشدده في هذه العداوة.

خامسًا:(..وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ..)[الأعراف:١٥٠] **فعل كلامي توجيهي** نهي، أي لا تحسبني واحدًا الذين أشركوا بالله عبادة العجل، ولا تجعلني في العقوبة معهم[٨٤].

بعدها ما كان من موسى إلا أن توجه إلى ربه طالبًا الغفران له ولأخيه (..قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ١٥١..)[الأعراف:١٥١].جواب عن مقولات هارون، وابتدأ موسى دعاءه فطلب المغفرة لنفسه تأدبًا مع الله فيما ظهر عليه من الغضب، ثم طلب المغفرة لأخيه فيما عسى أن يكون قد ظهر منه من تفريط أو تساهل في ردع عبدة العجل عن ذلك ، وذكر وصف الأُخوة هناك زيادة في الاستعطاف عسى الله أن يُكرم رسوله بالمغفرة لأخيه، والإدخال في الرحمة استعارة لشمول الرحمة لهما في سائر أحوالهما ، بحيث يكونان منها ، كالمستقر في بيت أو نحوه مما يحوي ، فالإدخال(..وَأَدْخِلْنَا..)استعارة أصلية وحرف (..فِي..)استعارةتبعية، أوقع حرفه الظرفية موقع باء الملابسة .وجملة : (..وَأَنتَ أَرْحَمُ..)تذييل أي الأشد رحمة من كل راحم[٨٥].

قد أدى نداء هارون لأخيه في المقولتين(..يَبْنَؤُمَّ..) و (..ٱبْنَ أُمَّ..)**غايته بدليل التفات موسى للسامري بالخطاب،** (..قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ٩٥ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي..)[يوسف:٩٥- ٩٦].

تعقيب:

الملاحظ أن المقولات الخطابية الحوارية الأسرية للإخوة في القرآن الكريم، لا وجود لحوار أسري واحد للأخوات مع بعضهن، أو مع إخوتهن.

وأرى في ذلك:

_ تلميح رقيق إلى أن الأخت أحن إنسان على الأخ بعد الأم، وذلك واضح في تعقب أخت موسى له بلهفة وهو في اليم، وحكمتها في حوارها مع من أخرجوه، وأصبح بين يدي امرأة فرعون، لأجل إعادته لأمه،

- النأي بالمرأة عن إشكاليات العقد الحوارية الأسرية، وهو ما يكشفه بوضوح ما تضمنته الخطابات الحوارية الأسرية بين الإخوة، من إشكالية تسبب عنها تأزم الحوار لينتهي بندم واستغفار.

---

[٨٣] التحرير والتنوير ١١٧/٩.
[٨٤] المرجع نفسه ١١٨/٩
[٨٥] التحرير والتنوير ١١٨/٩

فكل حوار أخوى تضمن إشكالية وهو سوء الظن في الأخ، وانتهى بنتيجة وهى الندم والاستغفار، فقابيل أساء الظن في أخيه؛ فقتله ثم ندم، وإخوة يوسف- عليه السلام- أساؤوا الظن بأخيهم فألقوه في الجب، ثم ندموا وطلبوا منه أن يستغفر لهم، وموسى - عليه السلام- أساء الظن بأخيه وظنه لم يقم بما نصحه به، ثم طلب الغفران له ولأخيه.

لذا أرى: أنه من دعائم الأسرة المسلمة هو أن ينتفي سوء الظن بين الإخوة، ويكون حسن الظن هو الغالب في علاقات الإخوة بعضهم ببعض، وإن بدا من البعض ما يوجب سوء ظن، علينا أن نؤوله بما ينتفي معه سوء الظن، بالتماس الأعذار، وتلمس الحجج.

وخلاصة القول بالنسبة لحضور المرأة في الخطابات الحوارية الأسرية، أما ، أو بنتا، أو أختا ، أو زوجة، ، أنه وإن ورد قليلا ، إلا أن ما صدر عنها من حيث السياقات والتحليل، في طبقات اجتماعية مختلفة ومحاور اهتمام متباينة عن هذا طريق هذا المنهج التحليلي الوصفيّ، يؤكد لكل ذي لب بألا يصنع حالة غير مؤكدة، في الصحة والأصالة إضافة إلى شبهة عدم تولى المناصب العليا، أو أنها لا تتعامل مع الجميع، أو تتكلم أكثر من اللازم، أو أن خطابها عاطفيّ غير مسوَّغ أو مُسبّب.

الخاتمة

هذا وفي ختام البحث فقد انتهت الدراسة إلى بعض النتائج التي ليست نهاية لما يمكن التوصُّل إليها، إنما هي ثمرة لقراءة دؤوبة وتتبع واستقراء للمقولات الخطابية الحوارية الأسرية في القرآن الكريم من حيث الدراسة التداولية، ويمكن إجمال أهم النتائج فيما يلي:

أولًا: نتائج متعلقة بالدراسة التداولية.

- الخطاب الحواري الأسري في القرآن الكريم خطاب تداولي بامتياز وتحليله ضمن مناهج لسانية محدثة تتصل بعلم اللغة الحديث، مع الاستعانة بالأدوات اللغوية العربية **أمر في غاية الأهمية**، فهو من جهة يدل على شمولية هذه المناهج في ضوء تشابه الفعل اللساني الإنساني واتحاده، ومن جهة أخرى يدل على شمولية القرآن الكريم لكل اللغات والمناهج العالمية، وقدرته على مجاراة التطور اللساني في المناهج العلمية الرصينة.
- للسياق ببعديه اللغوي وغير اللغوي دوره وأهميته في تحليل الخطاب **Discourse analysis**

القرآني بعامة والمقولات الخطابية الأسرية بخاصة، فإهمال السياق يعد موطنًا من مواطن الزلل والخطأ في تحليل وتفسير الخطاب القرآني.

- لتحقق الفعل الكلامي في الخطابات الحوارية الأسرية كان لابد له من شروط ، سواء من حيث بنيته كفعل أو من حيث الظروف الخارجية والشروط المقامية التي تسهم إلي حد كبير في تحقيق الفعل الكلامي المباشر خاصة .

كما لوحظ كيف ساهمت تلك الظروف والأحوال ونوايا المتحاورين في تغير مسار تحقيق الفعل ، وذلك استجابة لظروف طارئة أو مواقف مستجدة ٠

- بينت الدراسة من خلال التحليل التداولي للأفعال الكلامية دور الحوار الفعال في التأثير على النفس الإنسانية وإثارة المشاعر والأحاسيس، وقد تمثل ذلك في الشخصيات المتحاورة في الخطابات الحوارية الأسرية.

- **اعتمد المتخاطبون** في المقولات الخطابية الأسرية **على آليات** إجرائية في إنجاز أعمالهم اللغوية، إذ كان المتكلم يستعملها بقصد توضيح مقاصده لتبليغها إلى المخاطب بصياغة خاصة تناسب الظروف المقامية، وأداء يتفق وكفاءته اللغوية، لذا فهما مرتبطان ارتباطًا وثيقًا بالنظم أثناء استعمال اللغة.
- الوظائف الخطابية لخطاب الأنبياء تتميز عن تلك التي في خطاب غير الأنبياء ، فهو تتجاوز تلك الوظائف الست التي جاء بها (رومان جاكبسون) إلي وظيفة محورية ألا وهي (الوظيفية التذكيرية)، تلك التي تجسد الحكمة الربانية من نزول القرآن الكريم علي خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم.

- تنوعت الأفعال الكلامية في الخطاب الأسري، من حيث درجة قوتها الإنجازية، تبعًا لأحوال المخاطبين، وتحقيقًا لمقاصد وغايات الخطاب ، فالتداولية تهدف دائمًا جعل اللغة تصير إلى حركة، تؤدي إلي التغيير البناء في واقع الناس، فثبات شخصيات المتحاورين في الخطابات الحوارية الأسرية فيما قصه علينا القرآن لأحداث منتقاة وليس نقلًا لكل ما يجري في مقولاتهم الحوارية ، ما يؤكد واقعية الشخوص القرآنية، كما تنوعت الأفعال الكلامية تبعًا لموضوع الخطاب، فهناك خطاب يختص بالدعوة للإيمان وترسيخ العقيدة، وآخر للنصح والإرشاد، وآخر للاستعطاف والالتماس، وهناك حوار سلبي تعجيزي، وأخر تعارضي....إلخ.

- احتلت الأفعال الكلامية الإنشائية – الطلبية - وبخاصة الاستفهام و النداء والأمر والنهي النسبة الأكبر في خطاب الحوار الأسري ارتباطها بطبيعة القضايا الأسرية واختلاف أحوال المخاطبين، بالإضافة لارتباطها بمسائل العقيدة والأحكام والتكاليفّ الشرعية، وفي هذا دليل على كون هذا الدين ليس تلقينيًا تقليديًا، بل يقوم على الحجة والمنطق، مما يدحض دعاوى المغرضين ضد كيفية انتشار الإسلام .

- بينت الدراسة أن **الأفعال التوجيهية التي** تشتمل على عدد من الأفعال الإنجازية يتوجه بها المتكلم إلى المتلقي أو المستمع كي يؤدي عملًا إنجازيًا غرضه التأثير في المتكلم لفعل شيء معين، إذ التوجيه يوجد في الأفعال الإنجازية الصريحة أو المباشرة، والمحتوى القضوي فيها دائمًا هو فعلُ السامعِ شيئًا ما في المستقبل.
- **جاءت المقولات الخطابية الحوارية التوجيهية** في السياق الإنشائي الطلبي وهو الأمر والنهي والاستفهام والنداء، وقد أظهر التداخل بين أفعال الأمر، والنهي، والنداء، والاستفهام، أن السياق الخطابي الإنشائي الطلبي لتلك التوجيهيات لم يرد دفعة واحدة، وإنما ورد قولًا إثر قول، مما يساعد المخاطب أن يتلقى هذا الخطاب بصورة تدريجية، ليفهم قصدIntention المتكلم المزدوج الذي يجمع في الوقت ذاته بين الامتثال للأوامر والنهي عن ضدها.

- لعب الاستفهام دورًا في تشكيل مقاصد المتكلمين من الحوار، إذ معظمه خرج لمعاني ثانوية، كما ورد **النداء كفعل كلامي** ليس مقصودًا لذاته، وإنما تتوجه قصدية التداولية للخطاب بدءًا من الأوامر والنواهي التي تليه، كما جسد الأمر والنهي ودلالاتهما مقاصد هذا الخطاب الحواري إلى حد كبير على تنوعهما واختلافهما في الدلالة والغرض، وفي علاقة المتكلم بالمخاطب؛ فالتداولية تهتم بالبنية اللغوية النحوية للأمر والنهي، بقدر ما تهتم بالتوظيف الدلالي البلاغي التداولي لهما ولصيغهما ٠
- النداء كفعل كلامي في خطاب الحوار الأسري لم يكن مقصودًا لذاته، وإنما تتوجه قصدية التداولية للخطاب بدءًا من الأوامر والنواهي التي تليه، وقد كثف النداء (الدلالة) في الخطابات الحوارية الأسرية التوجيهية نظرًا لارتباطه بالقوى الإنجازية للأوامر والنواهي المعقبة له، إذ **يُوظف النداء في الغالب الأعم للتمهيد**.

- كثرة الأوامر والنواهي في **الأساليب التوجيهية "** تجعل الخطاب القرآني بعامة، والأسري بخاصة ، ينتمي إلى مجال (النص الواضح) الذي لا يقبل التأويل من الكلام بإطلاق" (فالقرآن كتاب أمر ونهي لأنه هداية للناس أجمعين والهداية تحتاج إلى التوجيه والإرشاد، وكلاهما متضمن في: افعل ولا تفعل؛ لذا التداولية تهتم بالبنية اللغوية النحوية للأمر والنهي، بقدر ما تهتم بالتوظيف الدلالي البلاغي التداولي لهما ولصيغهما ٠
- اختلفت القوى الإنجازية للأفعال بحسب المخاطب في الحوار، ونوع الخطاب، كما أن **عناصر تقوية القوة الإنجازية** في الأفعال الكلامية في هذه خطاب الحوار الأسري أدت دورها في بلورة مقاصد المتكلم وتمكينها في نفس المخاطب بقوتها الإنجازية العالية، ومن ثمَّ إنجاز مقاصده إنجازًا قويًّا ناجحًا.

- **استعمال صيغة المبني للمجهول**، في هذه الخطابات الحوارية جاء نادرًا جدًا ، إذ كان التركيز فيها والاهتمام بالمتكلم ورد فعل المخاطَب.

- ظاهرة **التقديم والتأخير في هذه الخطابات** جاء تداوليًا بامتياز، إذ جاء مبنيًّا على فائدة لا تحصل إلا به في هذا الخطاب، وقد ارتبط بالسياق ارتباطًا وثيقًا، واحتكم إلى ظروف التواصل، عُرفت من القرائن.
- **كان للحذف خصوصيات تداولية** تنطوي على إثارة الحس والشعور لدى المخاطب، ويعول فيها على الذوق وسعة أفق الخيال، كما أنه – أي الحذف - عمل على إثراء النص، وفتح آفاقًا واسعة من التأمل، إذ إن مهمة الحذف تكمن في فتح المجال أمام المتلقي لاستحضار معان غائبة تنتج في فضاء العبارة، وذلك بسبب احتمال تعدد تقدير المحذوف، فكلما زاد الاحتمال والتعدد اتسع ثراء المعنى.
- تؤكد نصوص الخطابات الحوارية الأسرية في القرآن على أن ساحة الحوار بين أراد الأسرة يجب أن تكون مفتوحة في جميع الظروف والأحوال، فالحوار هو الوسيلة التي تعبّر عن القيم والمبادئ، وانعدامه يعني غياب التفاهم بين أفراد الأسرة.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: كتب التفاسير.

- **القرآن الكريم.**
- ابن عاشور : التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ط١٩٨٤م، تونس.
- أبو السعود محمد بن محمد العمادي (٩٨٢هـ) : تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، د.ط ، د.ت، بيروت –لبنان.
- أبو حيان، الغرناطي الأندلسي ، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان: تفسير البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر للنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان،١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
- الألوسي، محمود بن عبد الله (١٢١٧هـ -١٢٧٠هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث، د.ط، د.ت.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن(٨٨٥هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د. ت.القاهرة.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (٥٣٨هـ) : الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠١٢م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد(٦٧١ه):الجامع لأحكام القرآن، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان النيسابوري(ت:٤٦٥هـ): ، تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م.
- محمد الأمين الشنقيطي (١٣٩٣هـ): أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار إحياء التراث، بيروت ، لبنان، ط١، ٢٠٢٠م.

ثانيًا: كتب اللغة والتداولية:

- د.إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، مصر، ط٣، ١٩٦٦م.
- أحمد إسماعيل نوفل،: سورة يوسف دراسة تحليلية ، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن: دلائل الإعجاز في علم المعاني، قراءة وتعليق: محمود شاكر ، طبعة مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٠م .
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر(٩١١هـ): الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د. ط، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- .....:الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.
- عبد العزيز عبد المعطي عرفه: من بلاغة النظم العربي(دراسة تحليلية لعلم المعاني)، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٥هـ -١٩٨٤م..
- د.محمد أبو موسى: خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل المعاني)، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٤، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.
- .....: من أسرار التعبير القرآني ، دار الفكر العربي ، ١٣٩٦هـ ، ١٩٧٦ م.
- محمد طنطاوي: نظرات في سورة يوسف ، جريدة القدس . (عدد ١٠٦٤٣) .ت ١٩٩٩/٤/١٣م .
- د.محمود سليمان ياقوت : قاموس علم اللغة ،طبعة مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٨م.

ثالثًا: المراجع الأجنبية:

- آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، نشر وتوزيع دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، يوليو ٢٠٠٣م.
- جان موشلر-آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة/ مجموعة من الأساتذة والباحثين، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م.
- روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة دكتور تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٧م.
- C0plantin essaissur l argumentation edition kimparis 1990 p191
- Collins CobuildYourk: English Dictionary, New Yourk press, 2000, p. XI.
- J.searl,sens et expression , op. cit. , p. 44.
- .

والحمد لله رب العالمين

the Speech acts in dialogue discourse between brothers in the Holy Quran

By

Rafat Sayed Hussein Elyyan

Prof.Dr. Mahmoud Suleiman Yakout

Professor of Linguistic Sciences - Faculty of Arts, Tanta

Abstract:

The Pragmatism branch of the new branches of linguistics, and the point of convergence of the fields of science related to the language as a link between language linguistic linguistics, the most important is the focus of the interaction is based on the exchange of speech and the story of understanding and understanding, Opened up new horizons for the linguistic lesson. This advice and the breadth of the linguistic lesson had a clear effect on changing the direction of the Arab Lassanis and turning their attention to embracing deliberation, in order to benefit from their arguments and analytical tools to understand the Arabic texts.

Therefore, this study was an attempt to consult the mechanisms of the deliberative method and apply it to the victory of the Quranic discourse, to understand its purpose It is the verbal acts in the discourse of dialogue between brothers in the Holy Qur'an, as it is a deliberative text of the first class par excellence, which invites us to deepen consideration of the efforts of scholars of interpretation, language, grammar and rhetoric, to reveal the existence of linguistic theories with dimensions and principles consistent with modern linguistic theories.

Keywords: opening words :the Speech acts- discourse- dialogue